D O I : 10.18860 /ijazarabi. V7i3.27262
I S S N (p r i n t) : 2 6 2 0 - 5 9 1 2 | I S S N (o n l i n e) : 2 6 2 0 - 5 9 4 7
e j o u r n a l . u i n - m a l a n g . a c . i d / i n d e x . p h p / i j a z a r a b i / i n d e x

The Educational Context In The Literature Of Ibn Al-Muqaffa Through His Book Al-Adab Al-Saghir

السياق التربوي في أدب ابْنِ الْمُقَفَّع من خلال كتابه الْأدب الصغير

Adel Almaghzwi
College of Arabic Language, Islamic University of Madinah, Saudi Arabia
almaghzwiadel@gmail.com

Abstract
The purpose of this study is to analyze the contents of the book "Al-Adab Al-Shaghir" by the author Abdullah Ibn Al-Muqaffa and identify the educational context of the texts of this book. This study uses an inductive approach to extrapolate Arabic texts and extract research materials and descriptive-analytical (content analysis) To analyze. The author focuses on social behavior and discusses the importance of self-discipline, self-control, friendship, and positive social relationships. It also emphasizes ethical behavior and the importance of moral values, personal relationships, and social responsibility. He discusses educational issues with reason, wisdom, and literature, which increases the influence of his philosophy on readers and contributes to establishing educational values in society. The study results also show that the content and values of education, the most prominent of which are the love of knowledge, choosing good friends, Honesty and integrity, and their role in encouraging personal and social growth, Self-awareness, and self-control. This book contains many rhetorical methods with the educational implication that a wise person must be at odds with himself and judge himself. Among the most prominent educational means in Ibn al-Muqaffa's texts are education by example, the need for ethics and discipline (education) and its role in the context of watering the mind, and developing society to benefit from these contents in raising children in the current era, and it is recommended that these values need to be included in educational books so that pre-university students can contribute to instilling values and purifying the minds of the younger generation.
Keywords: Ibn Muqaffa; Al-Adab Al-Shaghir; Education; Context; Arab

مقدمة

تَرْتَبِطُ التَرْبِيَةُ بالأدب بِعُلاقَةٍ وَثيقَةٍ حِيثُ يُخْدِمُ كُلٌّ مِنْهُما الآخَرَ، فَالأَدَبُ بِدَورِهِ هُوَ رُكْنٌ أَساسِيٌّ مِنْ رُكائِزِ اللُّغةِ العَرَبِيّةِ التي تُعَتَّبِرُ مُكَوّنًا أَساسِيًّا لِلْهَوِيَّةِ. تَتَبَرَّزُ الأَهَمِيَّةُ التَرْبَوِيَّةُ لِلشِّعْرِ والأَدَبِ بِشَكْلٍ خاصٍ؛ حِيثُ يَمْتَلِكَانِ تَأْثِيرًا فَعَّالًا عَلَى النُّفُوسِ البَشَرِيَّةِ. يُعَكِّسُ الأَدَبُ البَنَاءُ، الَّذِي يُشَجِّذُ مِنْ خَلَالِهِ الهَمَمَ نَحْوَ التَفَوُّقِ، تَأْثِيرَهُ التَرْبَوِيَّ مِنْ خَلَالِ تَفَاعُلِ القُلُوبِ والعُقُولِ والأَفْهَامِ. يُقَدِّمُ الأَدَبُ الْمَضَامِينَ الفِكْرِيَّةَ والتَوْجِيهِيَّةَ بِأَسْلُوبٍ بَارِعٍ يُصَقِّلُ وَيُوَجِّهُ السُّلُوكَ. فِي الأَدَبِ، يَكُونُ التَرْكِيزُ عَلَى اسْتِخْدَامِ اللُّغَةِ الجَمِيلَةِ والعَبَارَاتِ الدَّقِيقَةِ، وَيُعَلِّمُ الأَدَبُ الْخَيَالَ وَالإِبْدَاعَ مِنْ خَلَالِ تَقْدِيمِ الصُّوَرِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وَالمَعَانِي بِشَكْلٍ جَذَّابٍ وَمُبْتَكِرٍ. يُمْكِنُ لِلأدب التَّرْبُوِيّ تَلْبِيَةُ احْتِيَاجَاتِ النَّاشِئَةِ النَّفْسِيَّةِ وَتَلْبِيَةُ حَاجَاتِهِمْ الْعَقْلِيَّةِ، وَتَنْمِيَةُ ذُوقِهِمْ وَصَقْلِ مَشَاعِرِهِمْ وَإِحْسَاسِهِمْ. يُمْكِنُهُمْ مِنَ الْتَأَقْلُمِ مَعَ الْتَغَيُّرَاتِ فِي الْحَيَاةِ بِإِيجَابِيَّةٍ وَوَعْيٍ، مَعَ الْحَفَاظِ عَلَى عَقِيدَةٍ سَلِيمَةٍ وَوَازِعٍ دِينِيّ قَوِيّ (القرني، ١٤٢٥هـ، ص. ٧٩). وَقَدْ اِخْتَلَفَ مَفْهُومُ الْأَدَبِ عَنْدَ الْعَرَبِ عَلَى مُرّ الْعُصُورِ، فَفِي عَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ كَانَ يُقْصَدُ بِهِ الْتَهْذِيبُ وَالْخُلُقُ، وَاشْتَمَلَ التَّأْدِيبُ عَلَى التَّعْلِيمِ أَيْضًا، وَمِنْ هُنَا جَاءَ لِفْظُ "الْمُؤَدِّبُونَ" وَهُمْ الْمُعَلِّمُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُلَقِّنُونَ أَوْلَادَ الْخُلَفَاءِ الشِّعْرَ وَالْخُطَبَ وَأَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَنْسَابَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ. وبذلك؛ أَصْبَحَ الْأَدَبُ يُعْنَى بِالتَّهْذِيبِ وَالتَّعْلِيمِ عَلَى السَّوَاءِ، وَيَتَضَمَّنُ كُلَّ الْمَعَارِفِ غَيْرِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تَرْقَى بِالْإِنْسَانِ اجْتِمَاعِيًّا وَثَقَافِيًّا(Dar Sader. al-Ashqar, 2017).

كَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ (١٩٠٨) فِي الأَدَبِ الصَّغِيرِ ن(Ibn al-Muqaffa, 1908)اقِلاً أَيْضًا، حَيْثُ قَالَ: "وَقَدْ وَضَعْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ الْمَحْفُوظِ حُرُوفًا"، غَيْرَ أَنَّهُ تَصَرَّفَ فِيمَا نَقَلَهُ. وَيُعْتَبَرُ هَذَا الْكِتَابُ كَنَايَةً عَنْ دُرُوسٍ أَخْلَاقِيَّةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، حَيْثُ يَسْعَى لِنَشْرِ الْعِلْمِ وَتَشْجِيعِ الْفَرْدِ عَلَى تَنْمِيَةِ نَفْسِهِ، وَيُوصِي بِأَهَمِّيَّةِ الصِّدَاقَةِ، وَيَتَحَدَّثُ عَنْ سِيَاسَةِ الْحُكَّامِ وَإِدَارَةِ الدُّوَلِ. حَيْثُ يُنَقِّلُ لَنَا ابْنُ الْمُقَفَّعِ رِسَائل قصيرة، لمْ تَكُنْ مِنْ اِخْتِرَاعِه، فَهُوَ قَامَ بِالتَّعَرُّبِ لِكَلَامِ السَّابِقِينَ مِنَ الْعَجَمِ، وَنَقْلَ خُبَرَاتِهِمْ وَحِكْمَتِهِمْ. ولَكِنَّ يَبْقَى لَهُ لُطْفُ الصَّيْغَةِ وَحُسْنُ الاخْتِيَارِ.

يَتَنَاوَلُ كِتَابُ الأَدَبِ الصَّغِيرِ مُجَمَّوَعَةَ دُروسٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنْهَا الخُلُقِيَّةُ وَمِنْهَا الاجْتِمَاعِيَّةُ، فَأَوْضَحَ ضَرُورَةَ طَلَبِ العِلْمِ، وَتَوَاضُعَ العُلَمَاءِ، فَيُعْدُ الكِتَابُ زَاخِرًا بِالْعَدِيدِ مِنَ الْمَوَضُوعَاتِ مِثْلَ الصَّدِيقِ، وَالْمَالِ، وَتَحَدَّثَ عَنِ الْمُلُوكِ وَالْوُلاَةِ، تَرَكَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ لَنَا كِتَابَ الأَدَبِ الصَّغِيرِ كَرِسَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، الْهَدَفُ مِنْهَا تَهْذِيبُ النُّفُوسِ، وَالْحُثُّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّعَرُّفِ عَلَى الْخَالِقِ.

كذلك؛ تَنَاوَلَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي كِتَابِهِ "الْأَدَبِ الصَّغِيرِ" الْأَخْلَاقَ بِشَكْلٍ عَمَلِيّ وَتَطْبِيقِيّ، واسْتَلْهَمَ الْقِيَمَ الرُّوحِيَّةَ وَالْمُثَالِيَّةَ لِتَوْجِيهِ السُّلُوكِ، وَحَلَّ الْمَشَاكِلِ بِطَرِيقَةٍ تَنَاسُبُ الْوَضْعَ وَتَلْبِي الاحْتِيَاجَاتِ أَوِ الْمَسْؤُولِيَّةِ الْمُحَدَّدَةِ. كَانَ يَسْعَى إِلَى تَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى الْجَانِبِ الْعَمَلِيّ وَالْمُفِيدِ مِنْ قَوَاعِدِ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ، وَيَتَضَحُ ذَلِكَ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ فِي تَنَاوُلِهِ لِمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ أَخْلَاقِيَّاتُ الْحَاكِمِ وَالْمُعَلِّمِ وَالْإِمَامِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَالْبَاحِثِ (Al-Harbi, 2010). مِمَّا جَعَلَهُ مُحَلاً لِاِسْتِنْبَاطِ الْقِيَمِ السِّيَاقِ التَّرْبَوِيّ مِنْ قِيَمِ مَعَانٍ وَبَلَاغَةٍ وَأَفْكَارٍ وَفِكْرٍ تَّرْبَوِيّ.

تَرْجِعُ عُلَةُ اخْتِيَارِ الْبَاحِثِ لِهَذَا الْمَوْضُوعِ نَظَرًا لِأَنَّهُ تَأَمَّلَ فِي كِتَابِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" لِابْنِ الْمُقَفَّعِ وَوَجَدَهُ يَحْتَوِي عَلَى الأَدَبِ بِالْمَعْنَى اللُّغَوِيّ وَالأَخْلَاقِيّ، فَيُخْبِرُنَا بِمَا يَجِبُ أَنْ يُؤَدَّبَ الإِنْسَانُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ آدَابٍ وَسُلُوكِيَّاتٍ فِي مَوَاقِفَ الْحَيَاةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَيَرْكَزُ عَلَى الوَاجِبَاتِ وَالمَسْؤُولِيَّاتِ المَنْصُوصَ عَلَيْهَا فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَتَعْكُسُ النَّصُوصُ الأَدَبِيَّةُ فِي هَذَا الكِتَابِ سَعْيَهَا لِصَقْلِ العُقُولِ وَإِحْيَاءِ التَّفْكِيرِ وَالتَّوْجِيهِ لِمَحَامِدَ الأُمُورِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَالتَّيْ تَتَنَاسَبُ مَعَ مَقْتَبِلِ العُمُرِ لِلْقَارِئِ. وَيَشْتَمِلُ كِتَابُ الأَدَبِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الصَّغِيرِ عَلَى حِكَمٍ وَعِظَاتٍ وَعِبَارَاتٍ تُقَدِّمُ النَّصَائِحَ الَّتِي يُعْطِيهَا لِكُلِّ قَارِئٍ، كَمَا تَمْعَنَ فِي أَدَبِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ عُمُومًا فَوَجَدَهُ أَدَبًا هَادِفًا يَرْمِي إِلَى تَرْسِيخِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَيُحَثُّ عَلَيْهَا، وَيُحَكِّمُ العَقْلَ فِي طَرْحِ القَضَايَا، ثُمَّ يُعْرِضُ نَتَاجَ تَفْكِيرِهِ العَقْلَانِيِّ فِي مَعْرِضٍ تَمْثِيلِيٍّ يُنَقِّلُ فِيهِ الحِكْمَةَ مِنْ حَيِّزِ الفِكْرَةِ المُجَرَّدَةِ إِلَى لَوْحَةٍ فَنِّيَّةٍ يَرْسُمُهَا بِإِتْقَانٍ بَارِعٍ، تَمُرُّ عَلَيْهَا الحَوَاسُّ فَتَنْفَذُ إِلَى الإِدْرَاكِ، كَسَهْمٍ انطلَقَ بِبَرَاعَةٍ رَامَ فَأَصَابَ الهَدَفَ، ثُمَّ وَجَدَ الْبَاحِثُ أَنَّ مِنْ أَكْثَرِ مَا يُمَيِّزُ نَثْرَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ ذَاكَ سَلاَسَةُ لُغَتِهِ وَتَدَفُّقُ أَسْلُوبِهِ وَإِيقَاعُ فَوَاصِلِهِ وَعَذُوبَةُ تَنَاوُلِهِ الَّتِي يُعْمَدُ إِلَيْهِ كَوْسِيلَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ تُخْرِجُ النَّفْسَ مِنْ مَتَاهَاتِ الْمَعَانِي الْمُجَرَّدَةِ إِلَى نُورِ البَيَانِ بِالتَّمْثِيلِ، فَالأَدَبُ الصَّغِيرُ يَهْدُفُ إِلَى صَقْلِ العُقُولِ، وَإِحْيَاءِ التَّفْكِيرِ، وَإِقَامَةِ التَّدْبِيرِ، وَالتَّوْجِيهِ لِمَحَامِدَ الأُمُورِ، وَمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَيَتَوَجَّهُ بِهِ لِمَنْ هُمْ فِي مَقْتَبِلِ العُمُرِ، لِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ فِي أَدَاءِ مَعَانِيهِ أَسَالِيبُ تَتَنَاسَبُ مَعَ هَذَا التَّوْجِيهِ، مِنْهَا: الإِيجَازُ وَالمَجَازُ وَالاِسْتِعَارَةُ وَالتَّمْثِيلُ، لأَنَّ هَذِهِ مِنْ أَهَمِّ أَسَالِيبِ التَّشْوِيقِ الْمُنَاسِبَةِ فِي مَجَالِ التَّعْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ. كَمَا أَنَّ أَسْلُوبَهُ يَعْكِسُ الْمُفَارَقَاتِ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ تَفَاوُتِ النَّاسِ فِي الأَخْلاقِ، وَتَصَادُمِ الْقِيَمِ وَالْمَبَادِئِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ اخْتِيَارِ الْبَاحِثِ لَهَذَا الْمَوْضُوعِ(Hasan, 1997; Ibn al-Muqaffa, n.d.; Ighbariyyah, 2006; Jum'ah, 2016; Khalil, 2021) .وَبِنَاءً عَلَى مَا سُبِقَ، نَجِدُ أَنَّ كِتَابَ الْأَدَبِ الصَّغِيرِ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ يَمْثُلُ إِرْثًا فَرِيدًا بِالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ بَيْنَ صَفَحَاتِهِ. هَذَا الْأَمْرُ دَفَعَ الْبَاحِثَ إِلَى تَقْدِيمِ جُهُدٍ اسْتَخْلَصَهُ مِنْ تَحْلِيلِ الْمَضْمُونِ التَّرْبَوِيِّ لِصَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ، سَعْيًا لِإِحْيَاءِ إِرْثٍ تَرْبَوِيٍّ عِلْمِيٍّ ذُو أَهَمِيَّةٍ بَالْغَةٍ بَالنِّسْبَةِ لِلْمُتَلَقِّي بِمُخْتَلَفِ أَطِيَافِ وَعِيِّهِ الثَّقَافِيِّ، سَوَاءَ كَانَ بَاحِثًا أَكَادِيمِيًّا أَوْ قَارِئًا عَامًّا مُحِبًّا لِلْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ. فَإِنَّ هَذَا الْإِرْثَ يَمْثُلُ مَصْدَرًا هَامًّا لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ آثَارِهِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ الْمُمِيزَةِ.

يَهْدَفُ هَذَا الْبَحْثُ بِشَكْلٍ عَامٍّ إِلَى تَحْلِيلِ مَضْمُونِ أَدَبِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ مِنْ خِلَالِ نَصُوصِ كِتَابِهِ "الأَدَبِ الصَغِيرِ"، وَالتَّعَرُّفِ عَلَى السِّيَاقِ التَّرْبَوِيِّ لِهَذَا الْمَضْمُونِ مِنْ قِيَمٍ تَرْبَوِيَّةٍ وَأَخْلاقِيَّةٍ، وَاجْتِمَاعِيَّةٍ. وَالتَّعَرُّفِ عَلَى أَفْكَارٍ وَدَلَالَاتٍ وَبَلَاغَةٍ وَاِسْتِخْلَاصِ الِاسْتِنْتَاجَاتِ وَالتَّوْصِيَاتِ الَّتِي قَدْ تُسَاهِمُ فِي تَقْدِيمِ رُؤَى جَدِيدَةٍ حَوْلَ الْمُحْتَوَى التَّرْبَوِيِّ الْمُتَنَاوَلِ فِي الْكِتَابِ، وَطُرُقِ تَحْسِينِ التَّعْلُمِ مِنْ خِلَالِ الْكِتَابِ، وَذَلِكَ عَبْرَ: الْكَشْفِ عَنَ الْفَكَرِ التَّرْبَوِيِّ لِلْأَدِيبِ "عَبْدُ اللَّهِ بِنُ الْمُقَفَّعِ مِنْ خَلَالِ تَحَلِيَلِ نَصُوص كِتَابِ "الْأَدَبِ الْصَّغِيَرِ". و الْتَعَرُّفِ عَلَى أَبَرَزِ الْأَشْكَالِ وَالْمَضَامِيَنِ الْتَرْبَوِيَّةِ مِنْ قَيَمٍ وَدَلَالَاتِ وَأَفْكَارٍ وَبَلَاغَةِ الْمَتَضَمِّنَةِ فِي الْكِتَابِ مَحَلَ الْبَحْثِ وَالْتَحْلِيَلِ.

منْهَجية الْبَحْث

اعْتَمَدَ البَحْثُ الحَالِيّ بِشَكْلٍ أَسَاسِيّ عَلَى عَدَّةِ مَنَاهِجَ كالتالي: أُولًا: الْمَنْهَجُ الاِسْتِقْرَائِيّ حَيْثُ قَامَ البَاحِثُ بِاِسْتِقْرَاءِ نُصُوصِ كِتَابِ الأَدَبِ الصَّغِيرِ لِاِسْتِخْرَاجِ مَادَّةِ البَحْثِ. ثَانِيًا: الْمَنْهَجُ التَّحْلِيلِيّ الْمُتَمَثِّلُ فِي تَحْلِيلِ مَضْمُونِ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ لِلْبَحْثِ وَدَرَاسَتِهَا دَرَاسَةً مَتَأَصِّلَةً، وَالْمَنْهَجُ التَّحْلِيلِيّ هُوَ أَحَدُ أَدَوَاتِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الْمَنْهَجِ الْوَصْفِيّ، وَالَّذِي يُعَدُّ أَدَاةً فَعَّالَةً لِتَحْلِيلِ الظَّاهِرَةِ مَحَلَّ الدِّرَاسَةِ فِي حَالَتِهَا الدِّينَامِيَّةِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ التَّحْلِيلِ الْتَّتَبُعِيّ الْقَيّمِيّ، بُوَصْفِهِ أَسْلُوبًا وَصْفِيًّا كَيْفِيًّا(Jaluli, 2022). وَأَخِيْرًا: الْمَنْهَجُ الاِسْتِنْبَاطِيّ حَيْثُ بَذَلَ الْبَاحِثُ مَا اِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ مِنْ جُهْدٍ عَقْلِيّ وَنَفْسِيّ لِاِسْتِخْرَاجِ السِّيَاقَاتِ الْتَّرْبَوِيَّةِ مِنْ مَعَانٍ وَقِيَمٍ وَأَفْكَارٍ وَدَلَالَاتٍ وَبَلَاغَةٍ مِنْ نُصُوصِ كِتَابِ الأَدَبِ الصَّغِيرِ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ. اسْتَنَدَ الْبَاحِثُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَصَادِرِ الأُوْلَى لِهَذَا الكِتَابِ، الْمُتَمَثِّلَةِ فِي النَّسْخَةِ الأُمِّ التِي نَشَرَهَا طَاهِرُ الْجَزَائِرِيُّ عَامَ (١٩٠٨)، وَالنَّسْخَةِ الَّتِي اعَقَبَتْهَا عَامَ (١٩١١)، وَقَامَ بِتَحْقِيقِهَا أَحْمَدُ ذَكِيٌّ بَاشَا، ثُمَّ النَّسْخَةِ الَّتِي قَامَ بِتَحْقِيقِهَا وَائِلُ حَافِظٍ خلف (٢٠١١)، وَهِيَ النَّسْخَةِ الَّتِي قَامَ الْبَاحِثُ بِتَحْلِيلِ مَضْمُونِ نُصُوصِهَا بِغَيَّةِ اِسْتِقْرَاءِ وَاسْتِنْبَاطِ السِّيَاقَاتِ الْتَّرْبَوِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ. بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، اسْتَعَانَ الْبَاحِثُ بِالمَصَادِرِ الثَّانَوِيَّةِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ مَوْضُوعَ هَذَا الكِتَابَ، سَوَاءٌ مِنْ وَصْفٍ لِلْكَاتِبِ أَوْ لِلْكِتَابِ أَوْ حَتَّى النَّصُوصِ ذَاتِهَا، لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضِ هَذَا البَحْثِ.

نتائج البحث ومناقشتها

بَعْضُ أَبْعَادِ العَلاقَةِ بَيْنَ الأَدَبِ وَالتَّرْبِيَةِ وَدَوْرِ الأَدِيبِ فِي بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ وَتَشْكِيلِ القِيَمِ فِي الْمُجْتَمَعِ

يُعرَف الأَدَب عمومًا بأنه مَجموعة مِن النَّصُوص الأَدَبِيّة المَكْتُوبَة أَو المُنْطَوِيَة التي تَعْبُر عن مُشَاعِر الإِنْسَان وتَرْتَقِي تَفْكِيره ووَعِيّه. فَهُو يَشْمَل الشِّعْر والقِصَّة والرِّوَايَة والمَسْرَح والمَقَالَة الأَدَبِيَّة، وغَيْرها مِن الأَشْكَال الأَدَبِيَّة التي تُسْتَخْدَم اللُّغَة الجَمَالِيَّة للتَّعْبِير عن الحَيَاة والإِنْسَانِيَّة.أما التَّرْبِيَة فتَعْتَبِر عمليّة تُهَدَف إلى تَنْمِيَة شَخْصِيَّة الفَرْد وتَشْكِيل سُلُوكِه وتَوْجِيهه نَحْو النَّمُو والتَّطَوُّر الإِيجَابِي. فَهِي تَشْمَل الجَوَانِب الأَخْلَاقِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والعَقْلِيَّة للفَرْد، وتَسْعَى إلى تَحْقِيق التَّوَازُن بَيْنَهَا وتَنْمِيَة قِدْرَاتِه الذِّهْنِيَّة والعَاطِفِيَّة والرُّوحِيَّة (Abbas, Saham Salamah, wa-al-Hajari, 2017) وتتمثل العلاقة بين الأَدَب والتَّرْبِيَة في أَنَّ الأَدَب يُعْتَبَر أحد أَهْم وَسَائِل التَّرْبِيَة، حَيْثُ يَتِيح للفَرْد فَرْصَة لاكتِسَاب المَعْرِفَة وَالتَّجَارُب وَالقِيَم مِن خِلَال تَجَارُب الشَّخْصِيَّات الأَدَبِيَّة وَمُوَاقِفها. بالإِضَافَة إلى ذَلِكَ، يَعْمَل الأَدَب عَلَى تَوْسِيع آفَاق الفَرْد وَتَعْزِيز قُدُرَاته التَّفْكِيرِيَّة وَالتَّحْلِيلِيَّة وَالإِبْدَاعِيَّة، مُمَا يُسَاهِم في تَنْمِيَة شَخْصِيَّته وَبَنَاء قِيَمه الأَخْلَاقِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة (Al-Ghamidi, 1981; Al-Salmi, 2011).

يُعتَبَرُ الأَدَبُ أَدَاةً فَعَّالَةً فِي عملية التَّرْبِيَة، حَيْثُ يَمْكُنُ للقِصَصِ وَالرُّوَايَاتِ وَالشِّعْرِ أَنْ تَنْقِلَ القِيَمَ وَالمَعَارِفَ وَالتَّجَارُبَ الحَيَاتِيَّةَ بِشَكْلٍ مُلْمُوسٍ وَمَشْوِقٍ، مُمَا يَجْعَلُهَا أَكْثَرَ تَأْثِيرًا عَلَى الفَهْمِ وَالتَّفَاعُلِ الشَّخْصِيّ مُقَارَنَةً بِالمَعْلُومَاتِ النَّظَرِيَّةِ الجَافَّةِ. وَبِالتَّالِي، يُسَاهِمُ الأَدَبُ فِي تَشْكِيلِ الشَّخْصِيَّةِ وَتَوْجِيهِ السُّلُوكِ بِطَرِيقَةٍ إِيجَابِيَّةٍ.يَجِبُ أَنْ يَكُونَ للأَدَبِ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي الْمَنَاهِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ، حَيْثُ يُسَاعِدُ فِي تَحْفِيزِ الطُّلَّابِ عَلَى التَّفْكِيرِ النَّقْدِيّ وَتَنْمِيَةِ مَهَارَاتِهِمْ اللُّغَوِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ. كَمَا يُسَاهِمُ الأَدَبُ فِي تَعْزِيزِ الْوَعْيِ الثَّقَافِيّ وَالاجْتِمَاعِيّ لِلطُّلَّابِ وَفَتْحِ آفَاقِهِمْ نَحْوَ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ بِهِمْ بِطَرِيقَةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ وَمُمْتِعَة

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

(Stan, 2014) يشْتَرِكُ الأَدَبُ وَالتَّرْبِيَةُ فِي أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَعْتَمِدُ عَلَى اسْتِخْدَامِ اللُّغَةِ كُوسِيلَةٍ لِلتَّأْثِيرِ وَالتَّوَاصُلِ مَعَ الآخَرِينَ. فَكِلاهُمَا يَعْتَمِدُ عَلَى الْكَلِمَةِ الْمَكْتُوبَةِ أَوْ الْمَنْطُوِيَةِ لِنَقْلِ الْفِكْرِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْقِيَمِ. كَمَا يَهْدَفُ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى تَنْمِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَتَشْكِيلِ السُّلُوكِ وَالْقِيَمِ لَدَى الْفَرْدِ. ويخْتَلِفُ الأَدَبُ عَنْ التَّرْبِيَةِ فِي أَسْلُوبِ التَّعْبِيرِ وَالْهَدَفِ الأَسَاسِيّ. فَالأَدَبُ يَهْدُفُ بِشَكْلٍ رَئِيسِيٍّ إِلَى التَّرْفِيهِ وَالتَّأَمُّلِ وَالاِسْتِمْتَاعِ بِالْجَمَالِيَّاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ، بَيْنَمَا تَهْدِفُ التَّرْبِيَةُ إِلَى تَحْقِيقِ النَّمْوِ الشَّخْصِيّ وَالاِجْتِمَاعِيّ وَتَوْجِيهِ السُّلُوكِ نَحْوَ الصَّالِحِ وَالإِيجَابِيّ (مردم، ٢٠١٧، ص. ٢٥-٢٦). وأَمَامُ انفتَاحِ مَجتَمَعِنَا عَلَى العَالَمِ، سَوَاءَ شَرقَهُ أَمْ غَرْبَهُ، يَبْرُزُ الحَاجَةُ إِلَى التَّفْكِيرِ فِي دُورِ الأَدِبَاءِ فِي صَيْغَةِ الحَيَاةِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ وَفَهْمِ دُورِهِمُ التَّرْبَوِيّ. الأَدَبُ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَرْفٍ، بَلْ لَهُ قِيمَةٌ تَرْبَوِيَّةٌ وَتَعْلِيمِيَّةٌ تُسَاهِمُ فِي تَشْكِيلِ الأَجْيَالِ وَبَنَاءِ الشُّعُوبِ. فَقَدْ يَكُونُ لَدَى الأُمَمِ القُوَّةُ الْمَادِيَّةُ، وَلَكِنَّهَا قَدْ لَا تَنْهَضُ بِالْفَعْلِ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَدَيْهَا الْمَبَادِئُ وَالْقِيَمُ، وَطُرُقُ التَّفْكِيرِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا(Ibrahim, 1970).

مِنْ بَيْنِ مَسْؤُولِيَّاتِ الأَدِيبِ فِي بَنَاءِ مُجْتَمَعِهِ وَتَغْيِيرِ وَاقِعِهِ، يَأْتِي دَوْرُهُ الْفَعَّالُ فِي مُوَاجَهَةِ قَضَايَا الْمُجْتَمَعِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالدِّفَاعِ عَنِ الْحُرِّيَّةِ، حَيْثُ يَكُونُ مُهْتَمًّا بِالإِنْسَانِ وَمُنَادِيًا بِالتَّغَيُّرِ. يُعْبِرُ الأَدِيبُ عَنْ مُشْكِلَاتِ التَّحَوُّلِ الاجْتِمَاعِيّ وَالسِّيَاسِيّ وَالاقْتِصَادِيّ بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ، وَيَسْتَمِدُّ ذَلِكَ مِنْ مَسْؤُولِيَّتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ((Ibrahim, 1970)). وإِذَا كُنَّا نَسْعَى لِبُنَاء نِظَام تَرْبُوِيٌّ أَصِيلٌ، فَعَلَيْنَا أَن نَدْرُسَ الشَخْصِيَّات وَالأَحْدَاث الّتِي أَثَرَت فِي تَرْبِيتِنَا بِمُخْتَلَف أَوْجِهِهَا. فَمِن الوَاضِحِ أَن أَي نِظَام تَرْبُوِيٌّ لِأَي أُمَّة لَن يَكُونَ صَحِيحًا وَأَصِيلًا وَهَادِفًا وَمُفِيدًا إِلَّا إِذَا كَانَ مُبْنِيًّا عَلَى تَرَاثِهَا الثَّقَافِيّ، مَع مُرَاعَاة لَوَاقِعِهَا الحَالِيّ وَتَصَوُّرَاتِهَا لِلمُسْتَقْبَل. لِذَا، يُعَدُّ التُّرَاثُ هُوَ القَاعِدَة الأَسَاسِيَّة الّتِي يَنْبَغِي أَن يَقُومَ عَلَيْهَا أَي نِظَام تَرْبُوِيٌّ أَصِيلٌ لِأَي أُمَّة تَطْمَح للاحْتِفَاظ بِهُوِيَّتِهَا وَتَحْضِير شَبَابِهَا لِمُسْتَقْبَلٍ مُشْرِقٍ (محجوب، ١٤٠٢ هـ، ص. ٧).

والْبَحْث فِي فِكْر ابْن الْمَقْفع خَطْوَة لِإِبْرَاز إِسْهَامات الْأُدَبَاء فِي مُجَال التّربيّة وَكَشْف عَن جُهُودُهُم، فِي مُحاوَلة لِإِبْرَاز دَوْر الْأَدِيب التّرْبَوِيّ، بَاعْتِبَار أَن الْأَدَب يُمَثّل رَافِداً تربُوياً لا يُمكِن تَجَاهُل دَوْرُه فِي التّربيّة. وَلا يُمكِن لِأَدِيب يعيْش فِي مُثْل ظرُوف مُجتمَعُناً فِي صرَاعُه الْاجتماعي، ضِد الْجهْل وَالْفقْر وَالسّلبِيّة وَالْأنانيّة، والْأفَات الْاجتماعيّة الْمخْتلِفة، إلا أَن يُشَارِك بدَوْر إِيجَابِي فِي هَذا الْنّضال، وَذَلِك عَن طَرِيق مُواجهَة قضيَاناً الْتّربوْيَة بَاعتبَار أَن الْتّربيّة هِي مَفْتاح الْتّغيِر. فِي حِين أَن الْإِشَارات الْمبَاشِرَة إِلى الْسّياقَات الْتّربوْيَة فِي كِتاب الْأَدَب الْصّغيْر تُوفر أَسَاساً لِفهْم مُنهْجه الْتّربوْي. وَتجسُد فلْسفَةُ تعْليمِيَة شَامِلَة تَجمع بَيْن الْتّعلِيم الْأَخْلَاقِي، وَالحوكْمَة، وَإِتقَان الْلُغَة، وَالْتوَلِيفُ الْثّقَافِيّ، مما يجعْله مَوْضوعاً قَيماً لِمزِيد مِن الاستكشَاف الأكَادِيمِي (Al-Fakhuri, 1957)

ومن هنا؛ يَسْعَى هَذَا البَحْثُ لِلْكَشْفِ عَنْ السِّيَاقَاتِ وَالفَكْرِ التَرْبَوِيّ لِلأَدِيبِ "عَبْدُ اللَّهِ بنُ الْمُقَفَّع". عَلَى الرُّغْمِ مِنْ شَهْرَتِهِ وَإِنْتَاجِهِ الْوَافِرِ، إِلا أَنَّهُ لَمْ يُحَظَّ بِالتَّرْكِيزِ عَلَى دَوْرِهِ كَمُفَكِّرٍ تَرْبَوِيٍّ بِشَكْلٍ كَافٍ. فَعِنْدَمَا أُلْقِيَ الضَّوْءُ عَلَيْهِ كَأَدِيبٍ، كَانَتْ لَهُ آرَاءٌ تَرْبَوِيَّةٌ قَيِّمَةٌ، تَنْتَشِرُ فِي تَضَاعِيفِ مُؤَلَّفَاتِهِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الْمُتَنَوِّعَةِ. وَكَانَ رَائِدًا مِنْ رُوَّادِ حَرَكَةِ الْتَرْجُمَةِ وَالنَّقْدِ، مِنَ الْفَهْلَوِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ. لِذَا، الصُّورَةُ الصَّحِيحَةُ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ هِيَ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا لَا يَقْتَصِرُ دَوْرُهُ عَلَى الْأَدَبِ فَحْسَبِ، بَلْ كَانَ رَجُلًا لِلسِّيَاسَةِ وَالْاِجْتِمَاعِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَجُلًا لِلْعَقْلِ وَالْأَدَبِ.

كتَابُ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" كَنَمُوذَجٍ لِلأَدَبِ العَرَبِيّ ذُو الصَّبْغَةِ التَّرْبَوِيَّةِ لِابْنِ المُقَفَّعِ

يُعَتَبَرُ كِتَابُ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" جَزْءًا مِنْ تَرَاثِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ الأَدَبِيّ، وَمُرْجَعًا هَامًا لِلتَّرْبِيَةِ وَتَنَمِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، حَيْثُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْفَلَسَفَةِ وَالأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ فِي إِطَارٍ يَعْتَنِي بِتَطْوِيرِ الْفَرْدِ وَتَحْقِيقِ تَوَازُنِهِ الشَّامِلِ. وَفِيهِ يُقَوِّلُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: "وَقَدْ وَضَعْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ الْمُحْفُوظِ حَرُوفًا (يَقْصُدُ عَبَارَاتٍ) فِيهَا عَوْنٌ عَلَى عِمَارَةِ الْقُلُوبِ وَصَقْلِهَا، وَتَجْلِيَةِ أَبْصَارِهَا، وَإِحْيَاءً لِلتَّفْكِيرِ، وَإِقَامَةً لِلتَّدْبِيرِ، وَدَلِيلٌ عَلَى مَحَامِدِ الأُمُورِ، وَمَكَارِمِ الأَخْلَاق"(Al-Alwi, n.d.) يَتَضَمَّنُ هَذَا الْكِتَابُ دُرُوسًا أَخْلَاقِيَّةً تُرْغَبُ فِي الْعِلْمِ، وَتَدْعُو إِلَى تَهْذِيبِ النَّفْسِ، وَتَرْوِيضِهَا عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتُوصِي بِالصَّدِيقِ، وَتَتَكَلَّمُ عَنْ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ. وَمِنَ أبرز الْأَفْكَارِ التَّرْبَوِيَّةِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْأَدَبِ الصَّغِيرِ "مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ، ذِكْرُ الْمَوْتِ، إِحْصَاءُ الْمَسَاوِئِ، الْخِصَالُ الصَّالِحَةُ، دَعْوَةُ الْمَرْءِ إِلَى تَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، طلب العلم ومحبته، سُخَافَةُ الْمُتَكَلِّمِ، فَائِدَةُ الْمَشُورَةِ. يُسَاهِمُ هَذَا الْكِتَابُ فِي تَطْوِيرِ الذَّائِقَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَيُشَدِّدُ عَلَى فَضَائِلِ الأَعْمَالِ وَالأَخْلاقِ. مِمَّا يَجْعَلُهُ مُنَاسِبًا لِلشُّبَّابِ لِتَنْمِيَّةِ مَهَارَاتِهِمُ اللُّغَوِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ. وَيُعْتَبَرُ مَصْدَرًا قَيِّمًا لِلتَّنْمِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ، حِيثُ يَغْطِي مَوَاضِيعَ مُتَنَوِّعَةً مِثْلَ الرُّوحَانِيَّةِ، وَإِدَارَةِ الْوَقْتِ وَالدِّينِ وَالسُّلُوكِ الأَخْلاقِيّ وَمَبَادِئَ الْقِيَادَةِ. وَيُشَدِّدُ عَلَى أَهَمِيَّةِ بَنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ خِلَالِ فَهْمِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالِالْتِزَامِ بِالْوَاجِبَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، مَعَ التَّرْكِيزِ عَلَى الصِّدْقِ وَالنُّزَاهَةِ.وَالدَارِسُ لِلْكِتَابِ الْمُتَفَهِّمُ لِجَوَانِبِهِ النَّاظِرِ فِي كَلِمَاتِهِ بِالرَّوِيَةِ وَالْأَنَاةِ، يَدْرُكُ أَنَّ جَلَّ مَا وَرَدَ فِيهِ يُخَاطِبُ الْعَاقِلَ مِنَ النَّاسِ، وَيُحَدِّدُ لَهُ الْفَضَائِلَ الَّتِي يَجِبُ التَّزَيُّنُ بِهَا، وَالرَّذَائِلَ الَّتِي يَنْبَغِي تَرْكُهَا وَالإِقْلَاعُ عَنْهَا، لِكَيْ يَتَصَفَّ بِالْحِكْمَةِ تَطَلُّعًا إِلَى التَّفُوقِ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ: فَفَضِيلَةُ الْعَقْلِ فِيمَا يَطْلُبُ أَوْ يَتَقِي النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ، بِحَيْثُ يُتَوَقَّى عَاجِلُ اللَّذَاتِ طَلَبًا لِأَجْلِهَا، وَيَتَحَمَّلُ قَرِيبُ الْأَذَى تَوْقِيًا لِبَعِيدِه (Ibn al-Muqaffa, 2011).

ملامح الفَكْرِ التَرْبَوِيّ لِلأَدِيبِ "عَبْدُ اللَّهِ بِنُ المُقَفَّعِ" مِنْ خِلالِ كِتَابِهِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ"

١. الفَلَسَفَةُ التَّرْبَوِيَّةُ عَنْدَ ابْنِ المُقَفَّعِ مِنْ خَلَالِ كِتَابِهِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ"

يُعَدُّ ابن المُقَفَّعِ مِنْ فُلَاسِفَةِ الأَخْلَاقِ التَّرْبَوِيّينَ فِي الحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ سَبَّاقًا إِلَى مُعَظَّمِ الأَفْكَارِ وَالتَّعَالِيمِ وَالمَبَادِئِ العَمَلِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ فِي الأَخْلَاقِ العَامَّةِ أَوْ المِهْنِيَّةِ. تَخَلَّى ابْنُ الْمُقَفَّعِ عَنْ أَسْلُوبِ الْوَعْظِ وَالتَّوْجِيهِ فِي خُطَابِهِ الْأَخْلَاقِيّ، إِذْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى السِّيَاقِ الْمَنْطِقِيّ الْوَاضِحِ فِي دَلَالَاتِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أَلْفَاظِهِ، وَيُنَتَّصِرُ لِلْعَقْلِ، وَيَحْتَكِمُ إِلَى التَّجْرِبَةِ. جَمَعَ فِي كِتَابَاتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ بَيْنَ الْآدَابِ الْعَامَّةِ وَالْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ، وَحَاوَلَ الرَّبْطَ بَيْنَ النَّسَقِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْمَوْرُوثِ الْعَقَدِيِّ (الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَعَوَائِدِ الْمُسْلِمِينَ) وَاللَّانَسَقِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي تَجَارِبِهِ الْخَاصَّةِ حَوْلَ الْأَخْلَاقِ (النشار، ٢٠١٨، ص. ١٢٨).

يُلاحَظُ أنَّ ابن المقفع يُعَطِّي لِلإرادَة الإنسانِيَّة أَهَمِّيَّة كَبِيرَة في عِلاج الأَدواء الأَخْلاقِيَّة، وَيَظَلُّ مُعْتَدِلًا في نَظَرَتِه إلى الطَّبِيعَة الإنسانِيَّة، حَيْثُ يُرَكِّزُ عَلى مُجَاهَدَة دَوافِع الشَّرّ، مَعَ التَّفاضُل بَيْن الأَفْراد في قُدْرَتِهِم على قَمْعِها فيقول" فَإِذَا كُنْتَ لاَ تَعْمَلُ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ مَا اشْتَهَيْتَ، وَلاَ تَتْرُكُ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ مَا كَرِهْتَ ، فَقَدْ أَطْلَعْتَ الشَّيْطَانَ عَلَى عَوْرَتِكَ، وَأَمْكَنْتَهُ مِنْ رُمَّتِكَ، فَأَوْشَكَ أَنْ يَقْتَحِمَ عَلَيْكَ فِيمَا تُحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ فَيُكَرِّهَهُ إِلَيْكَ، وَفِيمَا تَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ فَيُحَبِّبَهُ إِلَيْكَ" وفي موضع آخر يقول"."وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَكَ فِي حُبِّ مَا تُحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ التَّحَامُلُ عَلَى مَا يُسْتَثْقَلُ مِنْهُ، وَيَنْبَغِي لَكَ فِي كَرَاهَةِ مَا تَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ التَّجَنُّبُلِمَا تُحِبُّ مِنْهُ"(Ibn al-Muqaffa, 2011). وقوله "وَأَنْفَعُ الْعَقْلِ أَنْ تُحْسِنَ الْمَعِيشَةَ فِيمَا أُوتِيتَ مِنْ خَيْرٍ، وَإِلاْ تَكْتَرِثَ مِنَ الشَّرِّ بِمَا لَمْ يُصِبْكَ"(Ibn al-Muqaffa, 2011) وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يُعْطَ نَفْسَ القَدَر لِلْجَانِب الخَيْرِيّ فِي الإنسَان، وَالْمُتَمَثِّلِ فِي طَبَائِع مُعَيَّنَة، فَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُرَكِّزَ عَلَى تَنَمِّيتِهَا، كَمَا فَعَلَ بَالنِّسْبَةِ لِطَبَائِع الشَّرّ (منصور، ١٩٨٣، ص. ١٣٦-١٣٥). فَإِنَّهُ قَدَّمَ نَمُوْذجًا فَرِيدًا فِي مَجَال السُّلُوك الاجْتِمَاعِيّ، يَظَلُّ مَحَلَّ اهْتِمَام وَتَقْدِير فِي العَصْر الحَاضِر، وَمَا زَالَ الكَثِير مِمَّا حَضَّ عَلَيْهِ أَوْ حَذَّرَ مِنْهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِنَفْسِ الْمَقَايِيسِ فِي عَصْرِنَا الحَاضِرِ، وَذَلِكَ لَدَى أَرْقَى الْمُجْتَمَعَاتِ تَحْضِرً ((Al-Bustani, 1979)).

وَيَستخلص الْبَاحِث أَنَّ الْفِلَسْفَة التَّرْبَوِيَّة لابْنُ الْمَقْفَع فِي كِتَاب "الْأَدَب الصَّغِير"، تَبْدُو جَلِيَّة فِيمَا رَكَّزَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلُوك الاجْتِمَاعِيّ وَتَضْمِنَتْهُ مَوَاضِيع مُتَنَوِّعَة مِثْلَ أَهَمِّيَّة الْانِضِبَاط الذَّاتِيّ وَضَبْط النَّفْس، وَأَهَمِّيَّة الصَّدَاقَة وَالْعَلاقَات الاجْتِمَاعِيَّة الْإِيجَابِيَّة، وَالْأَخْلَاق السِّيَاسِيَّة بِتَنَاوُلِهِ لِلسُّلُوك الْمُتَوَقَّع مِنَ الْحُكَّام وَالْمَسْؤُولِيَّات الْوَاجِبَة عَلَى مَنْ يَتَوَلَّوْنَ الْمَنَاصِب السِّيَاسِيَّة. مُؤَكِّدًا عَلَى السُّلُوك الْأَخْلَاقِيّ وَأَهَمِّيَّة الْقِيَم الْأَخْلَاقِيَّة وَالْعَلاقَات الشَّخْصِيَّة وَالْمَسْؤُولِيَّات الْمُجْتَمَعِيَّة، فَبِقَوْل ابْن الْمَقْفَع:

"وَمَنْ أَخَذَ كَلاَمًا حَسَنًا عَنْ غَيْرِهِ فَتَكَلَّمَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ وَعَلَى وَجْهِهِ، فَلاَ تَرَيَنَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ضُؤُولَةً؛ فَإِنَّ مَنْ أُعِينَ عَلَى حِفْظِ كَلاَمِ الْمُصِيبِينَ، وَهُدِيَ لِلاقْتِدَاءِ بِالصَّالِحِينَ"(Ibn al-Muqaffa, 2011)(Close Scheinbaum et al., 2019)·يُحمَلُ هذا المقتطف بَيْنَ طَيَّاتِ كَلِمَاتِهِ وَعَبَاراتِهِ عَدَدًا مِنَ القِيَمِ التَّرْبَوِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالأَخْلاقِ العَامَّةِ، وَأَهْمِيَّةِ الحُسْنِ فِي الكَلامِ وَالتَّعَامُلِ بِطَرِيقَةٍ مُحْتَرَمَةٍ وَمَسْؤُولَةٍ، مِمَّا يَعْكِسُ قِيمَةَ الأَخْلاقِ العَامَّةِ وَالتَّعَامُلِ الأَخْلاقِيِّ فِي الْمُجْتَمَعِ. كَمَا يُحَثُّ النَّصُّ عَلَى الاحْتِرَامِ الْمُتَبَادَلِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الآخَرِينَ، وَيُشَجِّعُ عَلَى التَّعْبِيرِ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَالْحَفَاظِ عَلَيْهَا، وَيُعَزِّزُ تَبَادُلَ الْمَعْرِفَةِ وَنَشْرَ الأَفْكَارِ القَيِّمَةِ. وَاحْتِرَامُ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ وَالاعْتِرَافُ بِمُسَاهَمَتِهَا فِي عَمَلِيَّةِ التَّعَلُّمِ، وَضَرُورَةُ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الصِّدْقِ وَالإِخْلَاصِ فِي نَقْلِ كَلِمَةِ الآخَرِينَ. مِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْمَمَارِسَاتِ، يَضْمَنُ الْمَرْءُ تَمْثِيلَ الْمَعْنَى وَالقَصْدِ بِدِقَّةٍ، مِمَّا يُسَهِّمُ فِي التَّوَاصُلِ الفَعَّالِ وَالْحَفَاظِ عَلَى الثِّقَةِ بَيْنَ الأَفْرَادِ. وَيُؤَكِّدُ النَّصُّ أَيْضًا عَلَى أَهَمِيَّةِ التَّعَلُّمِ الْمُسْتَمِرِ وَتَحْسِينِ الذَّاتِ مِنْ خَلَالِ التَّعَرُّضِ لِمَصَادِرَ الْمَعْرِفَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَيُشَجِّعُ عَلَى الانْفِتَاحِ عَلَى الأَفْكَارِ وَوُجُهَاتِ النَّظَرِ الْجَدِيدَةِ لِتَوْسِيعِ الفَهْمِ وَإِثْرَاءِ الْخِطَابِ بِرُؤَى قِيَمَةٍ مِنَ الآخَرِينَ.

٢. قَضَايَا التَّرْبِيَةِ عَنْدَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ مِنْ خَلَالِ كِتَابِهِ "الأَدَبِ الصَّغِير"

يَخْتَلِفُ التَّجَاوُبُ مَعَ أَسْلُوبِ الوَعْظِ الأَخْلاقِيِّ مِنْ شَخْصٍ لآخَرَ بِنَاءً عَلَى الثَّقَافَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْخَلْفِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْفَرْدِ. قَدْ يَجِدُ بَعْضُ الأَشْخَاصِ قَبُولًا وَفَائِدَةً فِي النُّصُوحِ الأَخْلاقِيَّةِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا ابْنُ الْمُقَفَّعِ، خَاصَّةً إِذَا كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلتَّفْكِيرِ بِعُمُقٍ فِي مَعَانِيهَا وَتَطْبِيقِهَا فِي حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، قَدْ يَعْتَبِرُ آخَرُونَ هَذَا الأَسْلُوبَ مُبَالِغًا فِيهِ أَوْ غَيْرَ مُنَاسِبًا لِظُرُوفِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ، يَتَأَثَّرُ التَّجَاوُبُ مَعَ الْوَعْظِ الأَخْلاقِيِّبِعَدَّةِ عَوَامِلَ مِثْلَ الْوَضْعِ الشَّخْصِيِّ، وَالتَّجَارُبِ السَّابِقَةِ، وَالتَّوْجِيهَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَالْقِيَمِ الأخلاقيةوتحكيم العقل والتي ذكرت في عدة مواضع من كتاب "الأدب الصغير"، وَالَّتِي يَقُولُ فِيهَا: "وَقَدْ وَضَعْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ الْمَحْفُوظِ حُرُوفًا فِيهَا عَوْنٌ عَلَى عِمَارَةِ الْقُلُوبِ وَصِقَالِهَا وَتَجْلِيَةِ أَبْصَارِهَا، وَإِحْيَاءٌ لِلتَّفْكِيرِ، وَإِقَامَةٌ لِلتَّدْبِيرِ، وَدَلِيلٌ عَلَى مَحَامِدِ الْأُمُورِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلاَقِ إِنْ شَاءَ اللهُ" (Ibn al-Muqaffa, 2011). ويقول:"وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُحْصِيَ عَلَى نَفْسِهِ مَسَاوِيَهَا فِي الدِّينِ،وَفِي الرَّأْيِ وَفِي الْأَخْلاَقِ وَفِي الْآدَابِ" (Ibn al-Muqaffa, 2011). ويقول:وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لاَ يُخَادِنَ وَلاَ يُصَاحِبَ وَلاَ يُجَاوِرَ مِنَ النَّاسِ – مَا اسْتَطَاعَ -إِلاَّ ذَا فَضْلٍ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْأَخْلاَقِ؛ فَيَأْخُذَ عَنْهُ، أَوْ مُوَافِقًا لَهُ عَلَى إِصْلاَحِ ذَلِكَ (Ibn al-Muqaffa, 2011).

إِنَّ اسْتِخْدَامَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ لِمَنْطِقِ الإِقْنَاعِ العَقْلِيِّ وَالاعْتِمَادِ عَلَى الْحَقَائِقِ الاجْتِمَاعِيَّةِ يُعَزِّزُ فَعَّالِيَّةَ رِسَالَتِهِ الأَخْلاقِيَّةِ. مِنْ خَلَالِ تَقْدِيمِ الْبُرَاهِينِ وَالْحَقَائِقِ وَاسْتِخْدَامِ الأَسْلُوبِ الْمُلَوَّنِ بِالِاسْتِفْهَامِ وَالتَّعَجُّبِ، يُمْكِنُ أَنْ يَلْهِمَ وَيُثِيرَ الاهْتِمَامَ وَالتَّفَكُّرَ لَدَى الْقُرَّاءِ. عَلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، يَسَاعِدُ تَوْجِيهُ الْقَارِئِ نَحْوَ التَّفْكِيرِ بِشَكْلٍ مُنْطِقِيٍّ وَتَقْدِيمِ الْأَمْثِلَةِ الْوَاقِعِيَّةِ عَلَى فَهْمِ الرِّسَالَةِ بِشَكْلٍ أَفْضَلَ وَتَطْبِيقِهَا فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ. في ذلك يقول: "وَإِنَّمَا إِحْيَاءُ الْعَقْلِ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ وَيَسْتَحْكِمُ خِصَالٌ سَبْعٌ: الْإِيثَارُ بِالْمَحَبَّةِ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي الطَّلَبِ، وَالتَّثَبُّتُ فِي الاخْتِيَارِ، وَالاعْتِقَادُ لِلْخَيْرِ، وَحُسْنُ الْوَعْيِ، وَالتَّعَهُّدُ لِمَا اخْتِيرَ وَاعْتُقِدَ، وَوَضْعُ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ قَوْلًا وَعَمَلًا"(Ibn al-Muqaffa, 2011). ويقول أيضا: وَالْعَقْلُ -بِإِذْنِ اللهِ -هُوَ الَّذِي يُحْرِزُ الْحَظَّ، وَيُؤْنِسُ الْغُرْبَةَ، وَيَنْفِي الْفَاقَةَ، وَيُعَرِّفُ النَّكِرَةَ، وَيُثَمِّرُ الْمَكْسَبَةَ، وَيُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ، وَيُوَجِّهُ السُّوقَةَ" (Ibn al-Muqaffa, 2011).ويذكرفي مقتطف آخر من متن الكتاب: "وَأَنْفَعُ الْعَقْلِ أَنْ تُحْسِنَ الْمَعِيشَةَ فِيمَا أُوتِيتَ مِنْ خَيْرٍ، وَإِلاْ تَكْتَرِثَ مِنَ الشَّرِّ بِمَا لَمْ يُصِبْكَ ((Ibn al-Muqaffa, 2011))(Fukagawa& Ziska, 2019).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وبذلك نرى أن تَحْدِيدُ ابْنِ تناول المُقَفَّعِ لِلقضايا التربوية بالعقل والحكمة والأدب وفي مَجَالِ البَحْثِ فِي السُّلُوكِ الاجْتِمَاعِيّ يَسَاعِدُ عَلَى تَرْكِيزِ جُهُودِهِ وَتَحْقِيقِ نَتَائِجَ مَلْمُوسَةٍ. يَظْهَرُ تَوَاضُعُهُ فِي تَحْدِيدِ الْهَدَفِ مِنْ كِتَابَتِهِ وَفِي تَقْدِيمِ أَفْكَارِهِ بِطَرِيقَةٍ هَادِئَةٍ وَمُتَوَاضِعَةٍ، مَمَّا يَعْكِسُ بِدَايَاتٍ جَيِّدَةً لِحَرَكَةِ التَّأْلِيفِ فِي الإِسْلامِ. تِلْكَ الْخَصَائِصُ قَدْ تُثِيرُ تَأَمُّلَ الْقَارِئِ وَتُشَجِّعُهُ عَلَى اسْتِكْشَافِ فِكْرِهِ وَتَطْبِيقِهِ فِي حَيَاتِهِ اليَوْمِيَّةِ والعمل بالمضامين والتوجهات التربوية الحديثة، فمن الجدير بالذكر قول ابن المقفع: "وَالْعَقْلُ الذَّاتِيُّ غَيْرُ الصَّنِيعِ كَالْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الْخَرَاب"((Ibn al-Muqaffa, 2011) ٤٦).

الذي يُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ العَقْلِ الفِطْرِيّ وَإِمْكَانَاتِهِ كَأَصْلٍ تَعْلِيمِيّ قَيِّمٍ. إنَّ المُقَارَنَةَ بَيْنَ العَقْلِ الفِطْرِيّ وَالأَرْضِ الخَصِبَةِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ كَمَا يُمْكِنُ لِلتُّرْبَةِ الْمُنْتَجَةِ أَنْ تَنْتَجَ مَحَاصِيلَ وَفِيرَةً، فَإِنَّ القُدْرَةَ العَقْلَانِيَّةَ الْمُتَطَوِّرَةَ وَالمُغَذِّيَةَ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى نَمْوٍ فِكْرِيّ وَفَهْمٍ كَبِيرٍ. وَيُؤَكِّدُ هَذَا النَّظَرُ أَهَمِّيَّةَ تَعْزِيزِ مَهَارَاتِ التَّفْكِيرِ النَّقْدِيّ وَتَشْجِيعَ الطُّلَّابِ عَلَى الانْخِرَاطِ فِي التَّفْكِيرِ الْمُسْتَقِلّ. عَلاوَةً عَلَى ذَلِكَ، يُشِيرُ هَذَا النَّصُّ إِلَى أَنَّ التَّعْلِيمَ يَجِبُ أَنْ يَرْكُزَ عَلَى تَنْمِيَةِ القُدْرَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلأَفْرَادِ بَدَلًا مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ عَلَى أَنَّهُمْ مُعِيبُونَ بِطَبِيعَتِهِمْ أَوْ غَيْرِ مُنْتَجِينَ. مِنْ خَلَالِ إِدْرَاكِ وَتَقْدِيرِ إِمْكَانَاتِ النَّمْوِ وَالتَّطَوُّرِ دَاخِلَ كُلِّ شَخْصٍ، يُمْكِنُ لِلْمُعَلِّمِينَ إِنْشَاءَ بِيئَاتٍ تَعْلِيمِيَّةٍ تَعْزِزُ الفُضُولَ وَالإِبْدَاعَ وَحُبَّ التَّعَلُّمِ مُدَى الحَيَاةِ. وَفِي السِّيَاقَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، يَتَوَافَقُ هَذَا الْمَفْهُومُ مَعَ الأَسَالِيبِ الحَدِيثَةِ لِلتَّدْرِيسِ وَالتَّعَلُّمِ التِي تُعْطِي الأَوْلَوِيَّةَ لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي يَرْكَزُ عَلَى الطَّالِبِ، وَالْمُشَارَكَةِ النَّشِطَةِ، وَتَجَارِبِ التَّعَلُّمِ الشَّخْصِيَّةِ. عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، تُؤَكِّدُ النَّظَرِيَّاتُ البِنَائِيَّةُ لِلتَّعَلُّمِ عَلَى دَوْرِ الطُّلَّابِ فِي بَنَاءِ مَعْرِفَتِهِمْ الخَاصَّةِ مِنْ خَلَالِ الخِبْرَاتِ وَالتَّفَاعُلَاتِ مَعَ بَيْئَتِهِمْ. وَبِالْمِثَالِ نَفْسِهِ، تَعْمَلُ نُمُذُجَاتُ التَّعَلُّمِ الْمُوَجَّهَةُ ذَاتِيًّا عَلَى تَمْكِينِ الطُّلَّابِ مِنْ التَّحَكُّمِ فِي تَعْلِيمِهِمْ مِنْ خَلَالِ تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ وَتَحْدِيدِ الْمَوَارِدِ وَتَقْيِيمِ تَقْدِمِهِمْ. (Knowles, et al., 2015)

أَبرَزِ الأَشْكَالِ وَالمَضَامِينِ التربوية مِنْ قِيَمٍ وَمَعَانٍ وَ أَفْكَارٍ الْمُتَضَمِّنَةِ فِي الْكِتَابِ مَحَلَ الْبَحْثِ وَالتَّحْلِيلِ

أولًا: أَبْرَزَ القِيَمُ التَّرْبُوِيَّةُ الْمُتَضَمِّنَةُ فِي نَصُوصِ كِتَابِ الأَدَبِ الصَّغِيرِ، ثانيًا: أَبْرَزَ الأَسَالِيبَ الْبَلَاغِيَّةُ وَمَدْلُولَاتِهَا التَّرْبَوِيَّةِ، ثالثًا: وَسَائِطُ التَّرْبِيَةِ فِي نَصُوصِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ. بَعْدَ اسْتِقْرَاءِ الْبَاحِثِ لِكَامِلِ صَفَحَاتِ كِتَابِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" وَمَا تَحْتَوِيهِ بَيْنَ طَيَّاتِهَا، وَكَذَا الرُّجُوعِ إِلَى مَا كُتِبَ أَوْ دَارَ حَوْلَ الْكِتَابِ مِنْ بُحُوثٍ أَوْ مُؤَلَّفَاتٍ وَغَيْرِهَا، يُمْكِنُ اسْتِنْبَاطُ الْعَدِيدِ مِنْ السِّيَاقَاتِ وَالْقِيَمِ التَّرْبَوِيَّةِ الَّتِي تَوْجِهُ السُّلُوكَ وَتُثْرِي الْعُقُولَ وَتُحَثُّ عَلَى الْفَضَائِلِ مِثْلَ الْحِكْمَةِ وَالصِّدْقِ وَالتَّوَاضُعِ وَاللُّطْفِ وَتُرْغِبُ فِي مُحَبَّةِ الْعِلْمِ وَالسُّلُوكِ الْأَخْلَاقِيّ، وأَهْمِيَّةِ الْفَضَائِلِ. تَعْمَلُ هَذِهِ الْقِيَمُ كَمَبَادِئَ تَوْجِيهِيَّةٍ لِلْأَفْرَادِ فِي تَفَاعُلَاتِهِمْ مَعَ الْآخَرِينَ وَفِي تَشْكِيلِ شَخْصِيَّتِهِمْ. نُوَجِّزُ أَبْرَزَهَا فِيمَا يَلِي:

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

١. مَحَبَّةُ العِلْمِ وَ أَثَرُهَا فِي تَحْقِيقِ الفَضِيلَةِ وَالتَّمَيُّزِ

تَحْمِلُ نُصُوصُ كِتَابِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" رَسَالَةً عَمِيقَةً بِخُصُوصِ القِيَمَةِ التَّرْبَوِيَّةِ لِطَلَبِ العِلْمِ، وَتَتَجَاوَزُ مُفْهَومَ الرِّبْحِ الْمَادِيِّ الْبَسِيطِ. وَتُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِيَّةِ التَّعْلِيمِ فِي تَعْزِيزِ التَّقَدُّمِ الْفِكْرِيِّ وَالأَخْلَاقِيِّ وَالمَجْتَمَعِيِّ، وَتُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى الرُّؤْيَةِ الْعَمِيقَةِ لِأَهَمِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ. كَمَا تُبرِزُ الدَّورَ الْمُزْدَوَجَ لِلْمَعْرِفَةِ كَمَصْدَرٍ لِإِثْرَاءِ الأَفْرَادِ وَحِمَايَتِهِمْ. وَمِنْ خَلَالِ فَهْمٍ وَاِسْتِيعَابٍ هَذِهِ الْتَّعَالِيمِ، يُمْكِنُ لِلأَفْرَادِ تَنْمِيَةَ تَقْدِيرٍ عَمِيقٍ لِلتَّعَلُّمِ وَقُوَّتِهِ التَّحْوِيلِيَّةِ فِي حَيَاتِهِمْ. يَقُولُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي مُحَبَّةِ الْعِلْمِ: العلمُ زينٌ لِصَاحِبِهِ في الرَّخَاءِ وَمَنْجَاةٌ لَهُ في الشِّدَّةِ (Ibn al-Muqaffa, 2011). وَمِنَ "الْعِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ لاَ تَعْلَمُ بِمَا لاَ تَعْلَمُ"(Ibn al-Muqaffa, 2011). وَتَبرُزُ القِيَمَةُ التَّرْبَوِيَّةُ فِي هَذَا النَّصِّ بِمَا يَرَاهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ مِنْ "مُحَبَّةِ العِلْمِ"، حَيْثُ يَمْثُلُ العِلْمُ زِينًا وَزُخْرُفَةً لِمَنْ يَحْمِلُهُ فِي الأَوْقَاتِ السَّعِيدَةِ، وَفِي الأَوْقَاتِ الصَّعْبَةِ يَكُونُ لِلعِلْمِ دَوْرُ النَّجَاةِ وَالإِنْقَاذِ. بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، يُبرِزُ أَهَمِيَّةَ التَّوَاضُعِ وَالاِعْتِرَافِ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ، فَالعِلْمُ لَيْسَ فَقَطْ فِي تَرَاكُمِ الْمَعْرِفَةِ وَلَكِنْ أَيْضًا فِي الاِعْتِرَافِ بِحُدُودِ مَعْرِفَتِنَا وَقُدْرَتِنَا عَلَى الْفَهْمِ.

كما يقول: "وَلَسْنَا بِالْكَدِّ فِي طَلَبِ الْمَتَاعِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضَّرَرِ وَالْغَلَبَةُ بِأَحَقَّ مِنَّا بِالْكَدِّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ صَلاَحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا"(Ibn al-Muqaffa, 2011).وَهُنَا، يَشِيرُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ إِلَى أَهَمِيَّةِ التَّفْرُغِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَالسَّعْيِ لِاكْتِسَابِهِ بِجُدٍّ وَاجْتِهَادٍ، وَإِعْطَاءِ الْأُولُوِيَّةِ لِلْمَعْرِفَةِ عَلَى الْكَسْبِ الْمَادِيِّ بِغَيَّةِ تَحْقِيقِ الصَّلَاحِ وَالتَّقَدُّمِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا. الْتَّرْكِيزُ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْحِكْمَةِ: مِنْ خَلَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى طَلَبِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي تُعَزِّزُ فَهْمَ الْمَرْءِ لِلدِّينِ وَالشُّؤُونِ الدُّنْيَوِيَّةِ، يُعَزِّزُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ قِيَمًا مِثْلَ الْفَضِيلَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّنَوُّرِ. وَهَذَا يَتَمَاشَى مَعَ فِكْرَةِ أَنَّ التَّعْلِيمَ لَا يُثْرِي الْأَفْرَادَ فَكْرِيًّا فَحَسْبُ، بَلْ أَخْلَاقِيًّا أَيْضًا. هُنَا أَيْضًا دَلَالَةٌ تَرْبُوِيَّةٌ عَلَى الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الْاِحْتِيَاجَاتِ الرُّوحِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ: يَتَضَمَّنُ النَّصُّ الْتَّوَازُنَ بَيْنَ الْإِشْبَاعِ الرُّوحِيِّ وَالْاِحْتِيَاجَاتِ الْمَادِيَّةِ. وَمَعَ الْاِعْتِرَافِ بِضَرُورَةِ مُعَالَجَةِ الْاِهْتِمَامَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ السَّعْيَ وَرَاءَ الْمَعْرِفَةِ لِتَحْسِينِ إِيمَانِ الْفَرْدِ وَحَيَاتِهِ هُوَ مَسْعَى أَنْبَلُ. تَعْزِيزُ التَّنَمُّيَّةُ الذَّاتِيَّةِ: يَتَمُّ تَصْوِيرُ التَّعْلِيمِ عَلَى أَنَّهُ وَسِيلَةٌ لِتَحْسِينِ الذَّاتِ وَالنَّمُوِّ الشَّخْصِيِّ. وَمِنْ خَلَالِ تَشْجِيعِ الْأَفْرَادِ عَلَى طَلَبِ الْمَعْرِفَةِ لِأَغْرَاضٍ تَتَجَاوَزُ الْمَصْلَحَةَ الشَّخْصِيَّةَ، مَثَلَ الْمَنْفَعَةِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ وَالْإِثْرَاءِ الرُّوحِيِّ، يَدْعُو ابن الْمُقَفَّعِ إِلَى التَّنَمِّيَّةِ الشَّامِلَةِ.

وكَانَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ رُؤْيَةٌ شَامِلَةٌ تَعْكِسُ دَورَ التَّعْلِيمِ وَالْأَخْلَاقِ فِي بِنَاءِ مَجْتَمَعٍ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ تَقَدُّمًا؛ وَيُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِيَّةِ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ. وَأَنَّ أَفْضَلَ طَرِيقَةٍ لِلِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْبِرِّ هِيَ اسْتِخْدَامُهَا لِتَوْجِيهِ الْآخَرِينَ وَالتَّأْثِيرِ عَلَيْهِمْ بِشَكْلٍ إِيجَابِيٍّ حَيْثُ يَقُولُ: "أَفْضَلُ مَا يُعْلَمُ بِهِ عِلْمُ ذِي الْعِلْمِ وَصَلاَحُ ذِي الصَّلاَحِ أَنْ يَسْتَصْلِحَ بِمَا أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنَ النَّاسِ، وَيُرَغِّبَهُمْ فِيمَا رَغِبَ فِيهِ لِنَفْسِهِ مِنْ حُبِّ اللهِ، وَحُبِّ حِكْمَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثَوَابِهِ فِي الْمَعَادِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُبَيِّنَ الَّذِي لَهُمْ مِنَ الْأَخْذِ بِذَلِكَ، وَالَّذِي عَلَيْهِمْ فِي تَرْكِهِ، وَأَنْ يُوَرِّثَ ذَلِكَ أَهْلَهُ وَمَعَارِفَهُ؛ لِيَلْحَقَهُ أَجْرُهُ مِنْ بَعْدِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الْمَوْتِ"(Ibn al-Muqaffa, 2011). وَهُنَّا يَشِيرُ ابن المُقَفَّعِ إِلَى أَهِمّيَّةِ الاِسْتِفَادَةِ مِنْ العِلْمِ وَالصَّلاحِ فِي إِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ، حَيْثُ يَرَى أَنَّ مَنْ يَتَمَتَّعُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى لِتَحْقِيقِ الْخَيْرِ الْعَامِّ وَخِدْمَةِ الآخَرِينَ، وَيُؤَكِّدُ أَنَّ التَّعْلِيمَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَجْلِ تَحْسِينِ الْمُجْتَمَعِ وَلَيْسَ فَقَطْ لِتَحْقِيقِ مَكَاسِبَ شَخْصِيَّةٍ. يَتَضَمَّنُ النَّصُّ أَيْضًا دَلَالَةً تَرْبَوِيَّةً عَلَى أَهِمّيَّةِ إِلْهَامِ الآخَرِينَ لِلنَّمْوِ الرُّوحِيّ وَالْفَكَرِيّ، وَتَوْضِيحِ الْمَسْؤُولِيَّاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَضَرُورَةِ نَقْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْحِكْمَةِ إِلَى الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ لِضَمَانِ اسْتِمْرَارِيَّةِ التَّقَدُّمِ وَالتَّحَوُّلِ الإِيجَابِيّ فِي الْمُجْتَمَعِ. وَيُخْتَمُ النَّصُّ بِتَأْكِيدِ قُوَّةِ التَّأْثِيرِ التَّحْوِيلِيّ لِلْمَعْرِفَةِ وَالصَّلاحِ فِي تَحْسِينِ الْمُجْتَمَعِ وَإِلْهَامِ النَّمْوِ الرُّوحِيّ.

وَيُؤَكِّدُ ابن المُقَفَّعُ عَلَى الدَّوْرِ الجَوْهَرِيّ لِلْمَعْرِفَةِ وَالْخِبْرَةِ وَالاِعْتِرَافِ بِالجُدَارَةِ وَالتَّطْبِيقِ الْمُنْضَبِطِ لِلْحِكْمَةِ فِي تَشْكِيلِ مَجْتَمَعٍ عَادِلٍ وَمُزْهِرٍ وَعَلَى فِكْرَةٍ أَنَّ العُلَمَاءَ بِحُكْمِ قُدْرَاتِهِمُ الفِكْرِيَّةِ وَالتَّزَامِهِمْ بِالتَّعْلِمِ هُمُ الأَقْدَرُ عَلَى إِدَارَةِ وَتَنْظِيمِ شُؤُونِ الْمُجْتَمَعِ. إِنَّ تَفَانِيهِمْ فِي اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ يُزَوِّدُهُمْ بِالْمَهَارَاتِ اللاَّزِمَةِ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْمَسْؤُولِيَّاتِ الإِدَارِيَّةِ بِفَعَالِيَّةٍ، وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: أَحَقُّ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ. وَأَحَقُّهُمْ بِالتَّدْبِيرِ الْعُلَمَاءُ. وَأَحَقُّهُمْ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ. وَأَحَقُّهُمْ بِالْعِلْمِ أَحْسَنُهُمْ تَأْدِيبًا"(Ibn al-Muqaffa, 2011). وَيَتَجَلَّى المَضْمُونُ التَرْبَوِيُّ فِي فَضْلِ العِلْمِ "وَأَحَقُّهُمْ بِالعِلْمِ أَحْسَنُهُمْ تَأْدِيبًا". عَلَى فِكْرَةَ أَنَّ الإِتْقَانَ الحَقِيقِيَّ لِلْمَعْرِفَةِ لا يَكُمُنُ فِي اكْتِسَابِهَا فَحْسَبًا، بَلْ أَيْضًا فِي تَطْبِيقِهَا بِانْضِبَاطٍ وَنَزَاهَةٍ. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَجْسُدُونَ هَذِهِ القِيَمَةَ مِنْ خَلَالِ اسْتِخْدَامِ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَسْؤُولِيَّةٍ يُعْتَبَرُونَ الأَكْثَرَ اسْتِحْقَاقًا لِلْحِكْمَةِ. هُنَاكَ مَضْمُونًا تَرْبَوِيًّا آخَرَ فِي مَعْرِفَةِ الفَضْلِ فِي قَوْلِهِ:«وَأَحَقُّهُمْ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ عَلَى النَّاسِ بِفَضِهِ» أو «وأحقهم بالفضل من يجازي الناس معروفه» يُؤَكِّدُ ابنُ المقفع عَلَى أَهْمِيَّةِ مَعْرِفَةِ الفَضْلِ وَمُكَافَأَةِ الأَفْرَادِ عَلَى أَسَاسِهِ، عَلَى مُسَاهَمَاتِهِمْ فِي الْمُجْتَمَعِ. تُعَزِّزُ هَذِهِ القِيَمَةُ ثَقَافَةَ يُتَمُّ فِيهَا الاعْتِرَافُ بِالتَّمِيُّزِ وَتَقْدِيرِهِ، مُمَا يَعْزُزُ الشُّعُورَ بِالتَّحَفُّزِ وَالتَّشْجِيعِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ. تُقَدِّمُ رؤْيةُ ابن المقفع حَوْلَ الأَبْعادِ الأخلاقِيَّةِ والتعليميَّةِ لِلتعليمِ والتعلُّمِ مِنْ خَلالِ دمجِ قيمٍ مِثْلَ اللُّطْفِ والأخلاقِ والمعرفةِ في الإطارِ التعليميّ. يُمْكِنُ للمُعَلِّمِينَ رعايةَ أفرادِ ذُوي مهاراتٍ جيدةٍ قادرينَ على إحداثِ فرقٍ في المجتمعِ حيث يَقُولُ :"مِنْ أَبْوَابِ التَّرَفُّقِوَالتَّوْفِيقِ فِي التَّعْلِيمِ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فِيمَا يُوَافِقُ طَاعَةً، وَيَكُونَ لَهُ عِنْدَهُ مَحْمَلٌ وَقَبُولٌ"((Ibn al-Muqaffa, 2011)كما يقول: بِالْأَدَبِ تَعْمُرُ الْقُلُوبُ. وَبِالْعِلْمِ تَسْتَحْكِمُ الْأَحْلَامُ" ((Ibn al-Muqaffa, 2011)).بِهَذَا النَّصِ، يُظهِرُ لَنَا أَبُو المُقَفَّعِ مُبَادِئَ تَربَوِيَّةً وَأَخلَاقِيَّةً قِيّمَةً تَتَعَلَّقُ بِالتَّعلِيمِ وَالتَّعلُّمِ. يُؤَكِّدُ النَّصُّ عَلَى أَهمِيَّةِ اللُّطفِ وَالتَّوجِيهِ وَالمُوَائِمَةِ مَعَ الطَّاعَةِ فِي التَّعلِيمِ، مُقتَرِحًا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى المُعَلِّمِ تَقدِيمُ المَعرِفَةِ وَالأَخلاقِ بِطَرِيقَةٍ تَتَوَافَقُ مَعَ الطَّاعَةِ، مُمَا يُعَزِّزُ عَلاقَةً مُتَنَاغِمَةً بَينَ المُعَلِّمِ وَالطَّالِبِ، وَيَخلُقُ بَيئَةً مُوَاتِيَةً لِلتَّعلُّمِ الفَعَّالِ. بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، تُؤَكِّدُ عَبَارَةٌ "بِالأَدَبِ تَعمُرُ القُلُوبُ" عَلَى أَهمِيَّةِ تَربِيَةِ الأَخلاقِ الحَمِيدَةِ فِي العَمَلِيَّةِ التَّعلِيمِيَّةِ، وَتُشِيرُ إِلَى

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أَنَّ رَعَايَةَ السُّمَاتِ الشَّخصِيَّةِ الإِيجَابِيَّةِ أَمرٌ ضَرُورِيٌّ لِلنَّمُوِّ الشَّخصِيّ وَالتَّنمِيَّةِ، حَيثُ يُسَاهِمُ المُعَلِّمُونَ فِي بِنَاءِ مَجتَمَعٍ مُستَقِيمٍ أَخلَاقِيًّا مِن خَلَالِ غَرسِ قِيَمٍ مِثلَ الاِحتِرَامِ وَالتَّعَاطُفِ وَالنَّزَاهَةِ. وَبِالنَّظَرِ إِلَى عَبَارَةٍ "وَبِالعِلْمِ تَستَحكِمُ الأَحْلَامُ"، فَإِنَّهَا تُسَلِّطُ الضَّوءَ عَلَى القُوَّةِ التَّحوِيلِيَّةِ لِلمَعرِفَةِ، حَيثُ يُمَكِّنُ التَّعلِيمُ الأَفْرَادَ مِن تَصوِيرِ مُستَقبَلٍ أَفضَلَ وَيَزوَدُهُم بِالمَهَارَاتِ اللاَزِمَةِ لِتَحوِيلِ تَطَلُّعَاتِهِم إِلَى وَاقِعٍ، وَمِن خَلَالِهِ يَكتَسِبُ الأَفْرَادُ الأَدَوَاتِ اللاَزِمَةِ لِلتَّغلُّبِ عَلَى التَّحَدِّيَاتِ وَالابتِكَارِ وَتَقدِيمِ مُسَاهَمَاتٍ ذَاتِ مَعنًى لِلمَجتَمَعِ.

وَمَنْ خَلَالِ اسْتِنْبَاطِ الدَّلَالَاتِ وَالْأَفْكَارِ التَّرْبَوِيَّةِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ، نَجِدُ التَّرْكِيزَ عَلَى التَّرْبِيَةِ الْأُخْلَاقِيَّةِ وَالدَّوْرِ الْمُتَكَامِلِ لِلْأُخْلُقِ فِي التَّعْلِيمِ. فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِينَ التَّرْكِيزُ فَقَطْ عَلَى نَقْلِ الْمَعْرِفَةِ الْأَكَادِيمِيَّةِ، بَلْ يَجِبُ أَيْضًا إِعْطَاءُ الْأَوْلِوِيَّةِ لِغَرْسِ الْقِيَمِ الَّتِي تَشْكِلُ شَخْصِيَّةَ الطُّلَّابِ وَسُلُوكُهُمْ. وَنَلْحَظُ أَيْضًا أَهْمِيَّةَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الطَّالِبِ وَالْمُعَلِّمِ، حَيْثُ يُعَزِّزُ بِنَاءُ عَلَاقَةٍ قَوِيَّةٍ بَيْنَهُمَا عَلَى أَسَاسِ اللُّطْفِ وَالتَّوْجِيهِ تَجْرِبَةَ التَّعَلُّمِ. عِنْدَمَا يَشْعُرُ الطُّلَّابُ بِالدِّعَمِ وَالِاحْتِرَامِ مِنْ قَبْلِ مُعَلِّمِيهِمْ، فَمِنَ الْمُرَجَّحِ أَنْ يَشَارِكُوا بِنَشَاطٍ فِي الْعَمَلِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ. وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، يُمْكِنُ التَّمْكِينُ مِنْ خَلَالِ الْمَعْرِفَةِ، حَيْثُ يَعْمَلُ التَّعْلِيمُ كَمُحَفِّزٍ لِلنَّمْوِ الشَّخْصِيّ وَالتَّقَدُّمِ الْمُجْتَمَعِيّ. وَمِنْ خَلَالِ تَعْزِيزِ ثَقَافَةِ التَّعَلُّمِ مُدَى الْحَيَاةِ وَالْفُضُولِ الْفِكْرِيّ، يُقَوِّمُ الْمُعَلِّمُونَ بِتَمْكِينِ الْأُفُقِ مِنْ تَحْقِيقِ إِمْكَانَاتِهِمْ وَالْمُسَاهَمَةِ بِشَكْلٍ إِيجَابِيّ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ. وَتَتَجَلَّى أَهَمِيَّةُ طَلَبِ الْعِلْمِ، سَوَاءٌ بَيْنَ عِلْمِ الْآخِرَةِ أَوْ عِلْمِ الدُّنْيَا. يُقْتَرَحُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ إِلَى فَهْمِ الْآخِرَةِ يَجِبُ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ مِنْ خَلَالِ اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، فِي حِينَ يَجِبُ عَلَى الْمُهْتَمِّينَ بِالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ التَّرْكِيزُ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْمَلْمُوسَةِ وَالتَّعْلُمِ التَّجْرِيبِيّ حَيْثُ يَقُولُ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْصُرَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الآخِرَةِ فَبِالْعِلْمِ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ ذَلِكَ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْصُرَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الدُّنْيَا فَبِالْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ تَدُلُّ عَلَيْهِ"((Ibn al-Muqaffa, 2011)).

بَاسْتَقْرَاء مُعَانِي وَكَلِمَات قَوْل ابْن المَقْفَع، يُمْكِن اسْتِنْبَاط نَوْعَيْن مُتَكَامِلَيْن مِن الْقِيَم، وَهُمَا الْقِيَم التَّرْبَوِيَّة وَالْقِيَم الْأَخْلَاقِيَّة. فِيمَا يَتَعَلَّق بِالْقِيَم التَّرْبَوِيَّة، فَإِن مَضْمُونهَا يَتَمَثَّل فِي أَهَمِّيَّة الْمَعْرِفَة وَطَلَبهَا، حِيثُ يُسَلِّط الضَّوْء عَلَى الْمَعْرِفَة بِاعْتِبَارِهَا جَانِبًا أَسَاسِيًّا لِلنَّمُو الشَّخْصِيّ وَالتَّنَوُّر. كَمَا يُعَزِّز النَّص أَهَمِّيَّة التَّعَلُّم الْهَادِف، وَيَشْجُع الْأَفْرَاد عَلَى التَّرْكِيز عَلَى مُجَالَات مُحَدَّدَة بِنَاءً عَلَى اهْتِمَامَاتِهِم وَأَهْدَافِهِم. بِالإِضَافَة إِلَى ذَلِكَ، يَشْجُع النَّص عَلَى تَنوِيع الْمَعْرِفَة مِن خَلَال التَّمَيُّز بَيْن مَعْرِفَة الْآخِرَة وَالْمَعْرِفَة الدُّنْيَوِيَّة، مَمَّا يُؤَكِّد عَلَى أَهَمِّيَّة التَّعْلِيم الشَّامِل الَّذِي يَشْمَل التَّعَلُّم الرُّوحِي وَالْعَمَلِيّ. أَمَّا الْقِيَم الْأَخْلَاقِيَّة الْمُسْتَنْبَطَة، فَتَتَضَمَّن النِّيَّة وَنِوَايَا الْمَرْء وَرَاءَ طَلَب الْمَعْرِفَة أَمْرًا بَالِغ الْأَهَمِيَّة، حِيثُ يُعْنِي وَضْوح الْهَدَف تَحْقِيق تَجَارُب تَعْلِيمِيَّة أَكْثَر فَائِدَة. كَمَا تَتَضَمَّن الْقِيَم الْأَخْلَاقِيَّة التَّوَازُن بَيْن قِيَمَة الْمَعْرِفَة الرُّوحِيَّة وَالدُّنْيَوِيَّة، مَع اتِّبَاع نَهَج مُتَوَازِن فِي التَّعْلِيم يُرَكِّز عَلَى أَهَمِّيَّة الْتَّنَمِيَّة الشَّامِلَة. وَتَشْمَل

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أَيْضًا الْحِكْمَة فِي طَلَب الْمَعْرِفَة، حِيثُ يُنَقِّل النَّص فِكْرَة أَنَّه يَجِب عَلَى الْأَفْرَاد طَلَب الْمَعْرِفَة بِحِكْمَة، وَمُوَاءَمَة مُسَاعَيهُم مَع قِيَمِهِم وَتَطَلُّعَاتِهِم لِتَحْقِيق أَقْصَى اسْتِفَادَة مِن مُسَاعَيهُم التَّعْلِيمِيَّة.

٢. حَسَنُ اخْتِيَارِ الرُّفَقَاءِ وَالأَصْحَابِ الصَّالِحِينَ

يُؤَكِّدُ ابْنُ المُقَفَّعِ عَلَى أَهِمِّيَّةِ اخْتِيَارِ الصَّحَابَةِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ بِشَكْلٍ إِيجَابِيٍّ عَلَى عَقْلِ الْمَرْءِ وَإِيمَانِهِ وَحِكْمَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَعَلَى الطَّبِيعَةِ الاِسْتِبَاقِيَّةِ لاخْتِيَارِ الرُّفَاقِ بِحِكْمَةٍ قَبْلَ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْكَامِلِ وَقِيمَةِ الاِرْتِبَاطِ بِالأَفْرَادِ الَّذِينَ تَتَوَافَقُ أَفْعَالُهُمْ مَعَ أَقْوَالِهِمْ. لِمَا لَهُمْ مِنْ أَثَرٍ عَمِيقٍ فِي شَخْصِيَّةِ الْفَرْدِ وَسُلُوكِهِ وَنَجَاحِهِ. يَقُولُ ابْنُ المُقَفَّعِ: "وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لاَ يُخَادِنَ وَلاَ يُصَاحِبَ وَلاَ يُجَاوِرَ مِنَ النَّاسِ – مَا اسْتَطَاعَ - إِلاَّ ذَا فَضْلٍ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالأَخْلاَقِ؛ فَيَأْخُذَ عَنْهُ، أَوْ مُوَافِقًا لَهُ عَلَى إِصْلاَحِ ذَلِكَ؛ فَيُؤَيِّدَ مَا عِنْدَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ فَضْلٌ؛ فَإِنَّ الْخِصَالَ الصَّالِحَةَ مِنَ الْبِرِّ لاَ تَحْيَا وَلاَ تَنْمَى إِلاَّ بِالْمُوَافِقِينَ وَالْمُؤَيِّدِينَ، وَلَيْسَ لِذِي الْفَضْلِ قَرِيبٌ وَلاَ حَمِيمٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ مِمَّنْ وَافَقَهُ عَلَى صَالِحِ الْخِصَالِ فَزَادَهُ وَثَبَّتَهُ. وَلِذَلِكَ زَعَمَ بَعْضُ الأَوَّلِينَ أَنَّ صُحْبَةَ بَلِيدٍ نَشَأَ مَعَ الْعُلَمَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ صُحْبَةِ لَبِيبٍ نَشَأَ مَعَ الْجُهَّالِ"((Ibn al-Muqaffa, 2011)). في هذا المقتطف لابن المقفع، يبرزُ قيمَةَ اختيارِ الرُفَاقِ المُنَاسِبِينَ الَّذِينَ يتمتَّعونَ بالعِلْمِ وَالدِّينِ وَالأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ، وَيُنْصَحُ بتَجْنِبِ مُخَالَطَةِ مَنْ لَا تَتَوَافَرُ فِيهِمْ هَذِهِ الشُّروطُ إِلَّا في حَالِ وُجُودِ مَصْلَحَةٍ فِي العِلْمِ أَوِ الدِّينِ أَوِ الأَخْلاقِ. وَيُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ البَحْثِ عَنِ الرُّفَاقِ الَّذِينَ يُسَاهِمُونَ بشَكْلٍ إيجَابِيٍّ فِي التَّطْوُرِ الفِكْرِيِّ وَالأَخْلاقِيِّ لِلْفَرْدِ، وَيُقْتَرَحُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الأَفْرَادِ البَحْثَ عَنِ الرُّفَاقِ يُشَارِكُونَهُمْ قِيَمَهُمْ وَمَعْتَقِدَاتِهِمْ، مُشِيرًا إِلَى أَنَّ الفَضَائِلَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَزْهَرَ دُونَ تَأْثِيرِ الأَفْرَادِ ذُوي التَّفْكِيرِ المُمَاثِلِ. وَيُقَارِنُ بَيْنَ صُحْبَةِ العُلَمَاءِ وَالفُضَلَاءِ وَبَيْنَ صُحْبَةِ الجُهَّالِ المُتَعَجْرِفِينَ، مُؤَكِّدًا أَنَّ الأُولَى أَنْفَعُ وَأَفْضَلُ رَغْمَ اعْتِبَارَاتِ الوُضْعِ الاجْتِمَاعِيّ(Ibn Amin, 1997; Manzur, 1997; Rahibani, 2014).

يشيرُ ابنُ المقفع إلى أَهْمِيَةِ اختيارِ الرُفَاقِ بحِكْمَةٍ، مُؤَكِّدًا عَلَى أَنَّ الرُفَاقَ الَّذِينَ يَمْتَلِكُونَ العِلْمَ وَالفَضِيلَةَ الأَخْلاقِيَّةَ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْثِرُوا بشَكْلٍ كَبِيرٍ عَلَى تَطْوُرِ الشَّخْصِيَّةِ وَالقِيَمِ لِلْفَرْدِ. وَيُشَجِّعُ عَلَى التَّعَلُّمِ مِنَ الآخَرِينَ، وَالاِسْتِفَادَةِ مِنْ خِبْرَاتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ، مُمَا يَبْرُزُ قِيَمَةَ التَّوَاضُعِ وَالاِسْتِعْدَادِ لِلتَّعَلُّمِ المُسْتَمِرِ. كَمَا يُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ البَيْئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فِي تَشْكِيلِ مَعْتَقِدَاتِنَا وَشَخْصِيَّتِنَا، وَيُشَدِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ تَطْوِيرِ الْعُلاقَاتِ مَعَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِقِيَمٍ مُشَابِهَةٍ لِتَحْقِيقِ النَّمُوِّ الشَّخْصِيِّ وَالتَّطَوُّرِ الأَخْلاقِيِّ. وَمِنْ خَلَالِ هَذَا التَّحْلِيلِ، يُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُ دُرُوسٍ تَعْلِيمِيَّةٍ قِيِّمَةٍ حَوْلَ أَهَمِّيَّةِ اخْتِيَارِ الرُّفَاقِ بِحِكْمَةٍ، وَالتَّعَلُّمِ مِنَ الآخَرِينَ، وَتَأْثِيرِ البَيْئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فِي رَحِلَتِنَا التَّعْلِيمِيَّةِ وَالتَّنْمُوِّيَّةِ(Al-Hasanawi, 2015; Al-Razi, 1995; Gamage, K.A.A., Dehideniya, D.M., & Ekanayake, 2021).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

٣. الصِّدْقُ وَالنُّزَاهَةُ وَدُورُهُمَا فِي تَعْزِيزِ النَّمْوِ الشَّخْصِيّ وَالمَجْتَمَعِيّ

أَوَلَّى ابنُ المقفعِ أهمّيَةً كَبِيرَةً لِلصَّدْقِ وَالنَّزَاهَةِ كَقِيَمٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي الْحَيَاةِ تَعَكُّسُ تَأْكِيدَهُ عَلَى الْقِيَمِ الأَخْلَاقِيَّةِ، وَتَجْسِيدَ السُّلُوكِ الْفَاضِلِ، أَكَّدَ فِيهَا عَلَى أَهْمِيَّةِ الصِّدْقِ وَالإِخْلاصَ، لِأَنَّ الصِّدْقَ يُعَزِّزُ الجِدَّارَةَ بالثِّقَةِ وَالمُصْدَاقِيَّةِ، وَيُشْكِلُ أَسَاسَ العَلَاقَاتِ القُوِيَّةِ وَالسُّلُوكِ الأَخْلَاقِيّ، مُمَّا. وَقَدْ تَنَاوَلَهَا فِي عَدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ مَتْنِ كِتَابِهِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ". نَذْكُرُ مِنْهَا بَعْضَ الْمُقْتَطَفَاتِ التَّالِيَةِ التِي تَبْرُزُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ عَنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ حَيْثُ يَقُولُ: "مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الصِّدْقُ فِي الْغَضَبِ، وَالْجُودُ فِي الْعُسْرَةِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدرة"((Ibn al-Muqaffa, 2011)) وَيَتَضَمَّنُ هَذَا الْمُقْتَطَفُ الْعَدِيدَ مِنْ الْقِيَمِ وَالْمَعَانِ التَّرْبَوِيَّةِ. الصِّدْقُ عِنْدَ الْغَضَبِ (الصِّدْقُ فِي الْغَضَبِ)، يُؤَكِّدُ عَلَى أَهْمِيَةِ الْحِفَاظِ عَلَى الصِّدْقِ وَالنُّزَاهَةِ حَتَّى فِي حَالَاتِ التَّوْتُرِ الْعَاطِفِيّ. تَعَلُّمُ هَذِهِ الْقِيَمَةِ الأَفْرَادَ قَوْلَ الْحَقِيقَةِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ حَالَتِهِمْ الْعَاطِفِيَّةِ، مُمَّا يُعَزِّزُ الشَّفَافِيَّةَ وَالْجِدَارَةَ بالثِّقَةِ فِي الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الأَشْخَاصِ. كَذَلِكَ، الْكَرَمُ فِي الشَّدَائِدِ (الْجُودُ فِي الْعُسْرَةِ) يَعْكِسُ فَضِيلَةَ الْكَرَمِ فِي الْأَوْقَاتِ الصَّعْبَةِ، حَيْثُ يُشَجِّعُ عَلَى إِظْهَارِ التَّعَاطُفِ وَالدَّعْمِ لِلْمُحْتَاجِينَ، مَعَ التَّرْكِيزِ عَلَى الْعَطَاءِ وَالْمُسَاعَدَةِ بِدُونِ أَنَانِيَّةٍ، خَاصَّةً فِي مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ أَوْ الشَّدَائِدِ، مُمَّا يُعَزِّزُ الشُّعُورَ بِالانْتِمَاءِ لِلْمَجْتَمَعِ وَالتَّضَامُنِ. وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَفْوِ فِي حُدُودِ الْقُدْرَةِ (الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ)، يُؤَكِّدُ مَفْهُومُ الْعَفْوِ عَلَى أَهْمِيَةِ التَّسَامُحِ وَالتَّخْلِيّ عَنْ الضَّغِينَةِ بِنَاءً عَلَى الْقُدْرَةِ الْفَرْدِيَّةِ وَظُرُوفِهِ. هَذَا يَسَاعُدُ عَلَى تَعْزِيزِ التَّفَاهُمِ وَالتَّعَاطُفِ وَالْمُصَالِحَةِ، مُمَّا يُؤْدِي إِلَى النَّمُوِّ الشَّخْصِيّ وَالْعَلَاقَاتِ الْمُتَنَاغِمَةِ. وَفِي نِهَايَةِ الْمُقْتَطَفِ، يَلْخَصُ النَّصُّ الْقِيَمَ التَّرْبَوِيَّةَ الأَسَاسِيَّةَ وَدَورَهَا فِي تَوْجِيهِ السُّلُوكِ الأَخْلَاقِيّ وَتَعْزِيزِ التَّفَاعُلَاتِ الإِيجَابِيَّةِ مَعَ الآخَرِينَ.

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يُؤَكِّدُ كَلَامُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ عَلَى أَهْمِيَةِ الصِّدْقِ وَالنُّزَاهَةِ فِي الأَفْرَادِ. وَيُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُ قِيَمِ الصِّدْقِ مِنْ مُلَاحَظَتِهِ أَنَّ مَعْظَمَ النَّاسِ مَتَوَرِّطُونَ فِي أَعْمَالِ الْخِدَاعِ، حَيْثُ يَكُونُ الْمُتَكَلِّمُونَ ظَالِمِينَ، وَالْمُسْتَمِعُونَ مُكْتَشِفِينَ لِلْخَطَأِ، وَالسَّائِلُونَ عَنِيدِينَ، وَالْمُجِيبُونَ مُتَظَاهِرُونَ، وَالنَّاصِحُونَ لَا يَمَارِسُونَ مَا يُعَظُّونَ بِهِ، وَالْوَاعِظُونَ يَفْتَقِرُونَ إِلَى الإِخْلَاصِ فِي كَلَامِهِمْ. النَّصِيحَةِ، وَالثِّقَاتِ لَا يُحَذِّرُونَ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَالصَّادِقُونَ لَا يُحَذِّرُونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْمُتَدَيِّنُونَ لَا يُحَذِّرُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَالْعُزَائِمُ الَّذِينَ لَا يَغْفِلُونَ عَنِ اسْتِبَاقِ الْعَوَاقِبِ يَقُولُ: "النَّاسُ - إِلاَّ قَلِيلًا مِمَّنْ عَصَمَ اللهُ - مَدْخُولُونَ فِي أُمُورِهِمْ: فَقَائِلُهُمْ بَاغٍ، وَسَامِعُهُمْ عَيَّابٌ، وَسَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، وَوَاعِظُهُمْ غَيْرُ مُحَقِّقٍ لِقَوْلِهِ بِالْفِعْلِ، وَمَوْعُوظُهُمْ غَيْرُ سَلِيمٍ مِنَ الاسْتِخْفَافِ، وَالْأَمِينُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُتَحَفِّظٍ مِنْ إِتْيَانِ الْخِيَانَةِ، وَذُو الصِّدْقِ غَيْرُ مُحْتَرِسٍ مِنْ حَدِيثِ الْكَذَبَةِ، وَذُو الدِّينِ غَيْرُ مُتَوَرِّعٍ عَنْ تَفْرِيطِ الْفَجَرَةِ، وَالْحَازِمُ مِنْهُمْ غَيْرُ تَارِكٍ لِتَوَقُّعِ الدَّوَائِرِ".((Ibn al-Muqaffa, 2011))(Husayn, 1953)

ومن خلال تحليل كلمات ومعاني هذا المقتطف، نجد أن "الصِّدْقُ" هُو القِيَمَةُ الأَسَاسِيَّةُ التي أَكَّدهَا ابن المقفع. يَشْمَلُ الصِّدْقُ فِي القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَدْعُو إِلَى تَجْنُبِ الْخِدَاعِ وَالْكَذِبِ. كَمَا سَلَطَ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الضَّوْءَ عَلَى النَّزَاهَةِ وَحَاجَةِ الْأَفْرَادِ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالْمُبَادِئِ الأَخْلَاقِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ بِنَزَاهَةٍ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ. النَّزَاهَةُ تَنْطُوي عَلَى الِاتِّسَاقِ بَيْنَ أَقْوَالِ الْمَرْءِ وَأَفْعَالِهِ. كَذَلِكَ، يُشِيرُ الْمُقْتَطَفُ إِلَى "الْمَسَاءَلَةِ" كَقِيمَةٍ تَرْبَوِيَّةٍ أُخْرَى تُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِيَّةِ مُحَاسَبَةِ الشَّخْصِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَتَعْنِي تَحَمُّلَ الْمَسْؤُولِيَّةِ عَنْ سُلُوكِ الْفَرْدِ وَاخْتِيَارَاتِهِ. "الإِخْلَاصُ" هُوَ قِيمَةٌ أُخْرَى تَتَضَمَّنُهَا مُلَاحَظَةُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ، حَيْثُ تَنْطُوي عَلَى نِيَّاتٍ وَأَفْعَالٍ صَادِقَةٍ دُونَ اِدِّعَاءٍ أَوْ نِفَاقٍ. كَمَا تُعْتَبَرُ الْجُدَارَةُ بِالثِّقَةِ ضَرُورِيَّةً لِبِنَاءِ الْعَلَاقَاتِ الْمُبْنِيَّةِ عَلَى الْمَوْثُوقِيَّةِ وَالصِّدْقِ، حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأَفْرَادُ جَدَرَانًا بِالثِّقَةِ وَأَنْ يُفُوّا بِالتِّزَامَاتِهِمْ. "السُّلُوكُ الأَخْلَاقِيُّ" يُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِيَّةِ التَّصَرُّفِ بِأَخْلَاقِيَّةٍ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الآخَرِينَ، وَكَيْفَ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالْمَعَايِيرِ الأَخْلَاقِيَّةِ يُسَاهِمُ فِي بِنَاءِ مَجْتَمَعٍ مُتَنَاغِمٍ. وَيُعْتَبَرُ "اليَقْظَةُ ضِدَّ الفَجُورِ" أَمْرًا بِالْغَ الأَهَمِيَّةِ لِلْحِفَاظِ عَلَى الْأَخْلَاقِ الشَّخْصِيَّةِ وَرُفَاهِيَّةِ الْمُجْتَمَعِ، بَيْنَمَا يَجِبُ عَلَى الْأَفْرَادِ تَوَقُّعُ الْعَوَاقِبِ لِاتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ مُسْتَنِيْرَةٍ وَتَجْنُبِ التَّدَاعِيَاتِ السَّلْبِيَّةِ

وإيمانًا منه بأهمية الصدق وما يمثله من نزاهة، أسسًا أساسية لبناء مجتمع مترابط يعمل على تحقيق التطور الشخصي والمجتمعي، يقول ابن المقفع:"وَلَيْسَ غِذَاءُ الطَّعَامِ بِأَسْرَعَ فِي نَبَاتِ الْجَسَدِ مِنْ غِذَاءِ الْأَدَبِ فِي نَبَاتِ الْعَقْلِ. وَلَسْنَا بِالْكَدِّ فِي طَلَبِ الْمَتَاعِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضَّرَرِ وَالْغَلَبَةُ بِأَحَقَّ مِنَّا بِالْكَدِّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا(Ibn al-Muqaffa, 2011). يرى الباحث أن هذا المقتطف يتضمن سياقا تربويا يُعزز مفهوم "الصدق"كقيمة تربوية للنزاهة في جميع جوانب الحياة، حيث يحافظ الأفراد على قيمهم ومبادئهم الأخلاقية من خلال الصدق، الذي يُعتبر ضروريًا للنمو الشخصي والانسجام المجتمعي. بناءً على "الصدق والإخلاص"، يمكن للأفراد الحصول على ثقة الآخرين واحترامهم، مما يُعزز العلاقات القائمة على التفاهم المتبادل والصداقة الحقيقية. ويُسهم تبني الصدق في تنمية الشخصية عبر غرس الفضائل مثل المساءلة والشفافية والموثوقية. زراعة قيم الصدق والنزاهة تؤدي إلى تطوير ثقافة الاحترام والتقدير المتبادل بين الأفراد، مما يعزز التفاعل الإيجابي والتعاون في المجتمع. ويعزز الصدق "تعزيز التعلم"و"تمكين اتخاذ القرار"، حيث يمكن للأفراد البحث عن الحقيقة والمعرفة واتخاذ القرارات المستنيرة بناءً على أسس أخلاقية. وتسهم القيادة الصادقة في بناء ثقة الأفراد وتلهمهم لاتباع نهج أخلاقي، مما يُعزز ثقافة النزاهة والصدق داخل المجتمعات والمنظمات.

وَبِهَذَا، نَسْتَخْلِصُ مِنْ هَذَا القَوْلِ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ القِيَمَ التَّرْبَوِيَّةَ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي الصِّدْقِ وَالنُّزَاهَةِ وَالْمَسْؤُولِيَّةِ وَالإِخْلاصِ وَالأَمَانَةِ وَالسُّلُوكِ الأَخْلاَقِيّ وَاليَقْظَةِ ضِدَّ الفُجُورِ وَتَوَقُّعِ العَوَاقِبِ، كَمُبَادِئَ أَسَاسِيَّةً لِلنَّمُوّ الشَّخْصِيّ وَالانْسِجَامِ الْمُجْتَمَعِيّ. إِنَّ تَأْكِيدَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ عَلَى أَهَمِيَّةِ الصِّدْقِ يُؤَكِّدُ تَأْثِيرَهُ العَمِيقَ عَلَى التَّنْمِيَةِ الفَرْدِيَّةِ، وَالعَلاقَاتِ بَيْنَ الأَشْخَاصِ، وَالسُّلُوكِ الأَخْلاَقِيّ، وَالمَسَاعِي الفِكْرِيَّةِ. إِنَّ تَبْنِيَ الحَقِيقَةِ كَقِيمَةٍ أَسَاسِيَّةٍ يُعَزِّزُ النُّزَاهَةَ وَالجُدَارَةَ بِالثِّقَةِ وَالاِحْتِرَامِ وَالتَّعَلُّمِ وَفَعَالِيَّةِ صَنْعِ القَرَارِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وَصِفَاتِ القِيَادَةِ الأَخْلاَقِيَّةِ، مُمَا يُسَاهِمُ فِي نِهَايَةِ الْمَطْلُوبِ فِي مَجْتَمَعٍ أَكْثَرَ انْسِجَامًا يَسْتَرْشِدُ بِمُبَادِئِ الصِّدْقِ وَالأَصَالَةِ.

٤. الوَعْيُ الذَّاتِيُّ وَضَبْطُ النَّفْسِ

يشير ابنُ المقفع في مقتطفاتٍ من كتابه "الأدب الصغير" إلى أهمية الوَعْيِ الذاتيّ وضَبْطِ النَّفْسِ، وأن على العاقل أن يَلْهَمَ مِنْ حَوْلِهِ اليَقَظَةَ، ويحثّهم على حَرَاسَةِ أَنْفُسِهِم. وبِهَذَا يَنْتَبِهُونَ إلى هذا الواجب، ويَطْمَئِنُونَ إليه، ويَدْرُكُونَ أَنَّ الآخَرِينَ لَنْ يَهْمِلُوهُم إذا أَهْمَلُوا أَنْفُسَهُم. "وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُؤْنِسَ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِنَفْسِهِ وَيُجَرِّبَهُمْ عَلَيْهَا حَتَّى يَصِيرُوا حَرَسًا عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَرَأْيِهِ، فَيَسْتَنِيمَ إِلَى ذَلِكَ وَيُرِيحَ لَهُ قَلْبَهُ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمْ لاَ يَغْفُلُونَ عَنْهُ إِذَا هُوَ غَفَلَ عَنْ نَفْسِهِ"((Ibn al-Muqaffa, 2011)).

وَالمُتَأَمِّل لَهذَا القَوْل يَلاَحَظ فِيهِ العَدِيد مِن المَضَامِين الْتَرْبَوِيَّة الَّتِي تُؤَكِّد عَلَى قِيمَة الوَعْي الذَّاتِيّ وَضَبْط النَّفْس، وَمِنْهَا "المَسْؤُولِيَّة الذَّاتِيَّة" الَّتِي تُحَثّ الأَفْرَاد عَلَى تَحْمِل الْمَسْؤُولِيَّة عَنْ أَفْعَالِهُم وَرِفَاهِهِم. يَعْلَم الْمُرْء أَنّه يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْخَرِط بِنَشَاط فِي التَّأَمُّل الذَّاتِيّ وَتَحْسِين الذَّات بِدَلًا مِنَ الاِعْتِمَاد عَلَى العَوَامِل الخَارِجِيَّة. كَمَا أَنّ "اليَقَظَة" لِحَوَاس الْفَرْد وَأَفْكَارهُ تَلْعَب دَوْرًا هَامًا فِي التَّعْلِيم، حِيثُ يَنْعَكِس ذَلِك عَلَى الوَعْي بِمَا يَسْتَهْلِكه الْمُرْء فِكْرِيًّا وَعَاطِفِيًّا، مَع تَعْزِيز التَّفَكُّر النَّقْدِيّ وَالْفِطْنَة. وَيَشْمَل النَّص مَفْهُوم "التَّمْكِين" مِنْ خَلَال تَشْجِيع الآخَرِين عَلَى أَنْ يَكُونُوا أَوْصِيَاء عَلَى قِدْرَاتهُم، مَمَّا يُعَزِّز الاِسْتِقْلَالِيَّة وَالْقُوَّة الشَّخْصِيَّة. قِيمَة أُخْرَى مُتَضَمِّنَة فِي هَذَا النَّص هِيَ "المَسَاءَلَة الْمُتَبَادِلَة". تُوَضِّح الفِكْرَة أَنّ إِهْمَال الذَّات قَدْ يُؤَدِّي إِلَى إِهْمَال الآخَرِين لَكَ، مَمَّا يُبْرِز أَهَمِيَّة الْمَسَاءَلَة الْمُتَبَادِلَة فِي الْعَلاقَات. فِي السِّيَاق التَّعْلِيمِيّ، يُمْكِنُ أَنْ يَعْزُز هَذَا الشُّعُور بِالانْتِمَاء لِلْمُجْتَمَع حِيثُ يُدْعَم الأَفْرَاد نَمْوًا وَتَطْوِير بَعْضهُم البَعْض. كَمَا يَشِير النَّص إِلَى "الرَّفَاهِيَة الْعَاطِفِيَّة"، حِيثُ يُمْكِن لِلْعَثْوَر عَلَى الهُدُوء مِنْ خَلَال الوَعْي الذَّاتِي وَالانْضِبَاط الذَّاتِي أَنْ يُسَاهِم فِي تَعْزِيز الرَّفَاهِيَة الْعَاطِفِيَّة. يُمْكِن لِلْمُعَلِّمِينَ اسْتِخْدَام هَذِهِ القِيمَة لِتَعْزِيز الْمُمَارَسَات الَّتِي تُحَسِّن الصِّحَّة العَقْلِيَّة وَالْمَرَنَة بَيْنَ الطُّلَّاب. عَلاوَة عَلَى ذَلِكَ، يَتَضَمَّن النَّص قِيمَة "التَّعْلِم الْمُسْتَمِرّ". فَالفِكْرَة تُؤَكِّد عَلَى أَنّه عَلَى الرَّغْم مِن عَدَم الشُّعُور بِالرِّضَا عَن النَّفْس أَبَدًا، يَجِب دَائِمًا السَّعِي لِلتَّحْسِين، وَهَذَا يَتَوَافَق مَع قِيمَة التَّعْلِم مَدَى الحَيَاة.

يَجِب أَنْ يُنْظَر إِلَى التَّعْلِيم كَرَحْلَة نَمْو وَاكْتِشَاف، حِيثُ يَسْعَى الأَفْرَاد بِاسْتِمْرَار إِلَى تَحْسِين أَنْفُسهُمْ. كَذَلِكَ، يَشْمَل النَّص مَضْمُونًا تَرْبَوِيًّا يَتَمَثَّل فِي "بِنَاء الثِّقَة". عِنْدَمَا يَعْلَم الأَفْرَاد أَنَّ الآخَرِين يَرَاقَبُونَهُمْ عِنْدَمَا يَتَعَثَّرُونَ، يَتَمّ بِنَاء الثِّقَة دَاخِل الْمُجْتَمَعَات. وَيُمْكِن دَمْج هَذِهِ القِيمَة فِي الْبِيئَات التَّعْلِيمِيَّة لِخَلْق بِيئَة دَاعِمَة تُشْكِل أَسَاسًا لِلتَّعَاوُن وَالتَّعَلُّم. وَبِذَلِكَ نَلْحَظ الثَّرَاء فِي الْمَعْنَى وَالتَّنَوُّع فِي الْمَغْزَى وَالتَّعَدُّد فِي الْمَضَامِين وَالقِيم التَّرْبَوِيَّة الأَسَاسِيَّة وَالْمُهِمَّة لِلْفَرْد وَالْمُجْتَمَع مِثْل المَسْؤُولِيَّة الذَّاتِيَّة،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وَاليَقظَة، وَالتَّمْكِين، وَالمَسَاءَلَة الْمُتَبَادِلَة، وَالرَّفَاهِيَة العَاطِفِيَّة، وَالتَّعْلِم الْمُسْتَمِرّ، وَبِنَاء الثَّقَة. يُمْكِن لِهَذِهِ القِيم تَوْجِيه الْمُعَلِّمِين فِي تَعْزِيز بِيئَة تَعْلِيمِيَّة مُوَاتِيَة تُغْذِي النَّمُو الشَّخْصِيّ وَالتَّنَمّيَة.

ويؤكد ابن المقفع على استقامة النفس ومحاسبتها لما في ذلك من استقامة للعقل والأخلاق فيقول: "وَعَلَى الْعَاقِلِ مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ، وَمُخَاصَمَتُهَا، وَالْقَضَاءُ عَلَيْهَا، وَالْإِثَابَةُ لَهَا، وَالتَّنْكِيلُ بِهَا. فأَمَّا الْمُحَاسَبَةُ: فَيُحَاسِبُهَا بِمَالِهَا، فَإِنَّهُ لاَ مَالَ لَهَا إِلاَ أَيَّامُهَا الْمَعْدُودَةُ الَّتِي مَا ذَهَبَ مِنْهَا لَمْ يُسْتَخْلَفْ كَمَا تُسْتَخْلَفُ النَّفَقَةُ، وَمَا جُعِل مِنْهَا فِي الْبَاطِلِ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْحَقّ، فَيَتَنَبَّهُ لِهَذِهِ الْمُحَاسَبَةِ عِنْدَ الْحَوْلِ إِذَا حَالَ، وَالشَّهْرِ إِذَا انْقَضَى، وَالْيَوْمِ إِذَا وَلَّى، فَيَنْظُرُ فِيمَا أَفْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَمَا كَسَبَ لِنَفْسِهِ، وَمَا اكْتَسَبَ عَلَيْهَا، فِي أَمْرِ الدِّينِ وَأَمْرِ الدُّنْيَا، فَيَجْمَعُ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ فِيهِ إِحْصَاءٌ، وَجِدٌّ، وَتَذْكِيرٌ لِلْأُمُورِ، وَتَبْكِيتٌ لِلنَّفْسِ، وَتَذْلِيلٌ لَهَا؛ حَتَّى تَعْتَرِفَ وَتُذْعِنَ. وَأَمَّا الْخُصُومَةُ: فَإِنَّ مِن طِبَاعِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ أَنْ تَدَّعِيَ الْمَعَاذِيرَ فِيمَا مَضَى، وَالْأَمَانِيَ فِيمَا بَقِيَ، فَيَرُدَّ عَلَيْهَا مَعَاذِيرَهَا وَعِلَلَهَا وَشُبُهَاتِهَا" ((Ibn al-Muqaffa, 2011)).

يَقْدَمُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي هَذَا الْقَوْلِ دَعْوَةً لِلْعَاقِلِ لِمُرَاجَعَةِ نَفْسِهِ وَتَقْيِيمِ أَعْمَالِهَا وَمُعَامَلَتِهَا، إِذْ يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ، وَيَتَحَمَّلَ مَسْؤُولِيَّتَهَا، وَيَتَعَامَلَ مَعَهَا بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ. وَيُذَكِّرُ أَنَّ الْمُحَاسَبَةَ تَشْمَلُ التَّفْكِيرَ فِيمَا أَنْفَقَتْهُ مِنْ وَقْتٍ وَجُهْدٍ وَمَالٍ، وَمَا اكْتَسَبَتْهُ وَفْقَ الْقِيَمِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ. كَمَا يُرَكِّزُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ عَلَى أَهَمِيَّةِ الْتَوَازُنِ بَيْنَ الْمُحَاسَبَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ، إِذْ يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَصَدَّى لِلسَّلْبِيَّاتِ فِي سُلُوكِهَا بِعَزِيمَةٍ وَتَصَمِيمٍ، وَأَنْ يُوَاجِهَ التَّحَدِّيَاتِ بِحِكْمَةٍ وَصَبْرٍ. وَمِنْ خَلَالِ اسْتِقْرَاءِ الْبَاحِثِ لِنَصُوصِ كِتَابِ الْأَدَبِ الصَّغِيرِ وَتَحْلِيلِ مَحْتَوَاهُ وَمَعَانِيهِ بِنَظْرَةٍ فَاحِصَةٍ ثَاقِبَةٍ مُتَأَنِّيَةٍ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ ثُمَّ بِالْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ، اسْتَنْبَطَ الْبَاحِثُ الْعَدِيدَ مِنَ الْقِيَمِ وَالْأَفْكَارِ وَالْمَعَانِي وَالدَّلَالَاتِ وَالصِّيَاغَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي لَا يَتْسَعُ الْمَجَالُ لِذِكْرِهَا. وَلَكِنَ الْبَاحِثَ أَلْقَى الضَّوْءَ عَلَى أَبْرَزِ مَا جَاءَ فِيهَا مِنْ قِيَمٍ تَمَثَّلَتْ فِي "مَحَبَّةِ الْعِلْمِ وَأَثَرِهَا فِي تَحْقِيقِ الْفَضِيلَةِ وَالتَّمَيُّزِ، حُسْنِ اخْتِيَارِ الرُّفَقَاءِ وَالْأَصْحَابِ الصَّالِحِينَ، الصِّدْقِ وَالنَّزَاهَةِ وَدُورِهِمَا فِي تَعْزِيزِ النَّمُوِّ الشَّخْصِيِّ وَالْمُجْتَمَعِيِّ، وَالْوَعْيِ الذَّاتِيِّ وَضَبْطِ النَّفْسِ وَمُحَاسَبَتِهَا".

أَبْرَزُ الْأَسَالِيبُ الْبَلَاغِيَّةُ وَمَدْلُولَاتُهَا التَّرْبَوِيَّةُ فِي نَصُوصِ كِتَابِ الأَدَبِ الصَّغِير

١. الإِيجَاز

يتَضَحُ مِنْ خَلَالِ نَصوصِ كِتابِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" لِابْنِ الْمُقَفَّعِ اسْتِخْدَامُهُ لِلإِيجَازِ بِبَرَاعَةٍ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ أَفْكَارِهِ التَّرْبَوِيَّةِ. فَهُوَ يُخْتَصِرُ الكَلَامَ وَيُعْبِرُ عَنِ المَعَانِي بِأَسْلُوبٍ مُبَسَّطٍ وَمُوجَزٍ، مَمَّا يَجْعَلُ القَارِئَ يَسْتَوْعِبُ الفِكْرَةَ بِسُهُولَةٍ وَيَدْرِكُ الْمَعْنَى دُونَ تَعْقِيدَاتٍ زَائِدَةٍ. وَتَكْمُنُ قِيمَةُ الإِيجَازِ فِي إِيصَالِ الرِّسَالَةِ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ وَفِعَّالٍ دُونَ إِطَالَةٍ أَوْ تَكْرِيرٍ، مَمَّا يَجْعَلُهَا أَدَاةً فَعَّالَةً فِي التَّوَاصُلِ التَّرْبَوِيّ، ويتضح ذلك في قوله: "وَعَلَى الْعَاقِلِ مُخَاصَمَةُ نَفْسِهِ وَمُحَاسَبَتُهَا وَالْقَضَاءُ عَلَيْهَا، وَالإِثَابَةُ لَهَا، وَالتَّنْكِيلُ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

بِهَا"((Ibn al-Muqaffa, 2011)). إن المُتَأَمِّل فِي هَذَا القَوْلِ الْمَوْجُزِ يَلْحَظُ دَعْوَةَ ابن المقفع إِلَى مَعْرِفَةِ النَّفْسِ، وَمُحَاسَبَتِهَا، وَإِحْصَاءَ مَحَاسِنِهَا وَمُسَاوِئِهَا، اسْتِصْلَاحًا لِشَأْنِهَا وَتَوْخِيًا لِلْكَمَالِ ((Ibn al-Muqaffa, 2011)). وَفِي إِطَارِ السِّيَاقِ التَّرْبَوِيِّ نَجِدُ أَنْ هَذَا النَّصَّ يَتَضَمَّنُ الْعَدِيدَ مِنْ الْقِيَمِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي: الِاعْتِرَافِ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، أَيّ يَجِبُ عَلَى الْفَرْدِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا وَمُتَحَمِّلاً لِمَسْؤُولِيَّتِهِ عَنْ أَفْعَالِهِ وَسُلُوكِهِ؛ وَالْمُحَاسَبَةِ الذَّاتِيَّةِ، حَيْثُ يَنْبَغِي لِلشَّخْصِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُقِيمَ أَعْمَالَهُ وَسُلُوكَهُ بِنَاءً عَلَى مَا قَدَّمَهُ وَمَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُدْرِكًا لِأَنَّهُ لَا مَالَ لَهُ إِلَّا أَيَّامَهُ الْمَعْدُودَةَ، وَبِالتَّالِي يَجِبُ عَلَيْهِ اسْتِثْمَارُ وَقْتِهِ وَجُهْدِهِ بِشَكْلٍ حَكِيمٍ. وَيَشْمَلُ النَّصَّ أَيْضًا فِكْرَةَ التَّوْبَةِ وَالتَّذَكُّرِ، حَيْثُ يَجِبُ عَلَى الْفَرْدِ أَنْ يَتَذَكَّرَ ذُنُوبَهُ وَيَتُوبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يَبْحَثَ عَنْ الْعِبْرَةِ وَالتَّعَظِيمِ مِنْهَا، مَمَّا يُسَاعِدُهُ عَلَى التَّحْسِينِ وَالتَّطْوِرِ الشَّخْصِيِّ. بِالإِضَافَةِ إِلَى الْقَضَاءِ وَالْحُكْمِ، حَيْثُ يَنْبَغِي لِلشَّخْصِ أَنْ يُقِيمَ أَعْمَالَهُ بِشَكْلٍ عَادِلٍ وَمُنْصِفٍ، وَأَنْ يَحْكُمَ فِيمَا يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُهُ مِنْ أَعْمَالِهِ، مَمَّا يُسَاعِدُهُ عَلَى تَحْقِيقِ التَّطْوِرِ وَالتَّقْدِمِ الشَّخْصِيِّ. وَيَتَضَمَّنُ النَّصَّ أَيْضًا فِكْرَةَ الِابْتِعَادِ عَنْ السُّلْبِيَّةِ، حَيْثُ يَنْبَغِي لِلْفَرْدِ أَنْ يَتَجَنَّبَ السُّلْبِيَّةَ وَالتَّفْكِيرَ السُّلْبِيَّ، وَأَنْ يَسْعَى لِتَحْقِيقِ الإِيجَابِيَّةِ وَالتَّقْدِمِ الشَّخْصِيِّ مِنْ خَلَالِ التَّفْكِيرِ الإِيجَابِيِّ وَالتَّفَاؤُلِ.

وَيَرَى الْبَاحِثُ أَنَّ يُظْهِرَ الْقَوْلُ لابن المقفع بِرَاعَةً بَلَاغِيَّةً فِي تَعْبِيرِهِ عَنِ الْوَعْيِ الذَّاتِيِّ وَالْمُسَاءَلَةِ، وَأَهَمِّيَّةِ الِاعْتِرَافِ بِالْأَخْطَاءِ وَالسَّعْيِ نَحْوَ التَّحْسِينِ. يَرْكَزُ النَّصُّ عَلَى أَهَمِّيَّةِ الْوَعْيِ بِالذَّاتِ، حَيْثُ يُشِيرُ إِلَى ضَرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الْأَفْرَادُ عَلَى درَايَةٍ بِأَفْعَالِهِمْ وَمُسْتَعِدِّينَ لِمُحَاسَبَتِهَا، مَمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى حَاجَتِهِمْ لِتَقْيِيمِ سُلُوكِيَّاتِهِمْ وَالِاعْتِرَافِ بِالْأَخْطَاءِ وَالسَّعْيِ لِتَحْسِينِ النَّفْسِ. كَمَا يُبَرِّزُ الْمَفْهُومَ الْأَسَاسِيَّ لِلْمُسَاءَلَةِ، مُشِيرًا إِلَى أَنَّ الْأَفْرَادَ يَجِبُ أَنْ يَتَحَمَّلُوا الْمَسْؤُولِيَّةَ عَنْ أَفْعَالِهِمْ وَيُوَاجِهُوا عَوَاقِبَهَا، مَمَّا يُعَزِّزُ ضَرُورَةَ قَبُولِ التَّحَدِّيَاتِ وَالتَّعَلُّمِ مِنَ الْخَطَأِ. وَيَشْجُعُ الْقَوْلُ عَلَى الِاعْتِرَافِ بِالْأَخْطَاءِ وَالِاخْتِلَافَاتِ، وَيَدْعُو الْأَفْرَادَ إِلَى التَّوَاضُعِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلتَّحْسِينِ الْمُسْتَمِرِّ، مَمَّا يُسَاهِمُ فِي تَعْزِيزِ ثَقَافَةِ النُّمُوِّ وَالتَّطَوُّرِ الشَّخْصِيِّ.

وقوله: أَشَدُّ الْفَاقَةِ عَدَمُ الْعَقْلِ. وَأَشَدُّ الْوَحْدَةِ وَحْدَةُ اللَّجُوجِ. وَلاَ مَالَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَقْلِ. وَلاَ أَنِيسَ آنَسُ مِنَ الاسْتِشَارَةِ ((Ibn al-Muqaffa, 2011) يؤكِّدُ ابنُ المَقْفَع في هَذَا النَص عَلَى عَظَمَة إِكْبَارِ العَقْل، فَتَجِدُهُ فِيمَا يُنْهَى عَنْهُ وَفِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، كَثِيرَ الإِجْلَال لِخَطَوْرَتِهِ شَدِيد التَحْذِير مِنَ التَّخْلِي عَنْهُ. فَإِغْفَال الْمَرْء لِمَنْزِلَةِ العَقْل هُوَ أَشَدّ الفَاقَة، فَهُوَ أَهَمّ مِنَ الْمَال وَالْغِنَى؛ لِأَنّ العَقْل هُوَ الْحَارِس لِلْمَال، وَلِذَلِكَ يُفَضَّل، لِأَنَّهُ يَحْرُز الْحَظّ، وَيُعِين عَلَى التَّكَيُّف فِي الْأَزْمَات، وَيُبْعِد عَن الفَاقَة، وَيُمَكِّن مِن استِيعَاب الأَفْكَار، وَيُحَقِّق الرِّبْح، وَيُعْطِي الثَّمَرَة طَيِّب الطَّعْم، وَيُوجِّه فِي التِّجَارَة عِنْد السُّلْطَان، وَيُكْسِب الأَصْدِقَاء، وَيُكَافِئ الأَعْدَاء ((Ibn al-Muqaffa, 2011)). وَتُظْهِرُ رَوْعَةُ الإِيجَازِ فِيمَا يَحْتَوِيهِ النَّصُ مِنْ مَعَانٍ وَقِيَمٍ تَرْبُوِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ أَبْرَزَهَا "قِيمَةُ الْعَقْلِ"، حَيْثُ يَرَى ابْنُ الْمَقْفَعِ أَنَّ الْفَقْرَ الْمُدْقِعَ هُوَ الْافْتِقَارُ إِلَى الْعَقْلِ، مَمَّا يُشِيرُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ الذَّكَاءِ وَالتَّفْكِيرِ النَّقْدِيِّ فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ. وَتُؤَكِّدُ هَذِهِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الْقِيَمَةُ أَهَمِّيَّةَ التَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ الْمُسْتَمِرِ لِتَنْمِيَةِ الْقُدْرَاتِ الْفِكْرِيَّةِ لِلْفَرْدِ. وَيَتَضَمَّنُ إِشَارَتُهُ "لِمَعْنَى الْوَحْدَةِ" إِلَى أَنَّ شِدَّةَ الْعُزْلَةِ تُنْقِلُ فِكْرَةَ أَنَّ الْوَحْدَةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالرِّفْقَةَ ضَرُورِيَّةٌ لِلْبَشَرِ. تُؤَكِّدُ هَذِهِ الْقِيَمَةُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّفَاعُلَاتِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَلَاقَاتِ وَالْمُجْتَمَعِ فِي تَعْزِيزِ النَّمُوِّ الشَّخْصِيِّ وَالرَّفَاهِيَّةِ، وَتَأْتِي "قِيَمَةُ الْحِكْمَةِ" التِّي تَبْدُو فِي عِبَارَةِ "لَا مَالَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَقْلِ" لِتُؤَكِّدَ قِيَمَةَ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ عَلَى الْمُمْتَلَكَاتِ وَالثَّرْوَةِ الْمَادِيَّةِ. وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّ الثَّرْوَةَ الْفِكْرِيَّةَ، الْمُكْتَسَبَةَ مِنْ خَلَالِ الْتَّعْلِيمِ وَالْخِبْرَةِ، أَكْثَرُ قِيمَةً وَاِسْتِدَامَةً مِنَ الثَّرْوَةِ الْمَادِيَّةِ؛ "وَقِيمَةُ الشُّوْرَى "كَمَا أَبْرَزَهَا النَّصُ هِيَ الأُخْرَى مِنْ قِيَمِ طَلَبِ النُّصْحِ وَالْمُشَاوَرَةِ مِنَ الآخَرِينَ بِقَوْلِهِ: "وَلَا أُنَسُّ آنَسُ مِنَ الاِسْتِشَارَةِ". تُعَزِّزُ هَذِهِ الْقِيَمَةُ التَّعَاوُنَ وَالتَّوَاصُلَ وَطَلَبَ التَّوْجِيهِ مِنَ الْآخَرِينَ كَوَسِيلَةٍ لِاتِّخَاذِ قَرَارَ.

وَيَرَى الْبَاحِثُ أَنَّهُ بَالرَّغْمِ مِنْ هَذَا الإِيجَازِ فِي النَّصِّ، إِلا أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَعَانِي وَالدَّلَالَاتِ وَالْقِيَمِ التَّرْبَوِيَّةِ الَّتِي تُقْتَرَحُ اتِّبَاعَ نَهْجًا شَمُولِيًّا لِلتَّعْلِيمِ، حَيْثُ يَتَمُّ إِعْطَاءُ الأُولُوِيَةِ لِلنَّمُوِّ الْفِكْرِيِّ وَالْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ وَالسَّعْيِ وَرَاءَ الْمَعْرِفَةِ. وَيَتَمَاشَى هَذَا النَّهْجُ مَعَ الْفِلَسْفَاتِ الْتَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَى تَنْمِيَةِ الشَّخْصِ كَكُلٍّ، بِمَا فِي ذَلِكَ قُدْرَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَاطِفِيَّةِ. يُشِيرُ النَّصُّ إِلَى أَنَّ الذَّكَاءَ هُوَ الصِّفَةُ الأَكْثَرُ قِيمَةً، مَمَّا يُشِيرُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ الْتَحْصِيلِ الأَكَادِيمِيِّ وَالنَّمُوِّ الْفِكْرِيِّ فِي الْبَيْئَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ. كَمَا يُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّعَاوُنِ وَالْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ مِنْ خَلَالِ ذِكْرِ الْوَحْدَةِ وَوَحْدَةِ الْمُجْمُوعَةِ، مَمَّا يُعَزِّزُ الشُّعُورَ بِالاِنْتِمَاءِ لِلْمَجْتَمَعِ وَيُعَزِّزُ تَجْرِبَةَ التَّعَلُّمِ وَالْمَهَارَاتِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ لَدَى الطُّلَّابِ. وَتُؤَكِّدُ قِيمَةُ الاِسْتِشَارَةِ عَلَى أَهَمِّيَّةِ طَلَبِ الْمَشُورَةِ وَالتَّعَاوُنِ مَعَ الآخَرِينَ فِي بَيْئَاتِ التَّعْلِيمِ، مَمَّا يُسَاهِمُ فِي تَطْوِيرِ التَّفْكِيرِ النَّقْدِيِّ وَمَهَارَاتِ حَلِّ الْمُشْكِلَاتِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّعَلُّمِ مِنَ الآخَرِينَ. وقوله أيضا:"أَفْضَلُ مَا يُورِثُ الآبَاءُ الْأَبْنَاءَ: الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالْأَدَبُ النَّافِعُ، وَالْإِخْوَانُ الصَّالِحُونَ"((Ibn al-Muqaffa, 2011)).

وَيُسْتَنْبِطُ الْبَاحِثُ مِنْ هَذَا النَّصِ تَرْكِيزًا عَلَى تَعَزِّيزِ الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ وَالتَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ فِي الْأَجْيَالِ الْجَدِيدَةِ، مِمَّا يَعْكُسُ سِيَاقًا تَرْبَوِيًّا مُهِمًّا. يُظْهِرُ النَّصُ أَنَّ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ وَالْأَدَبَ النَّافِعَ وَالْإِخْوَانَ الصَّالِحِينَ يُعَدُّونَ أَفْضَلَ الْمِيرَاثِ الَّذِي يُمْكِنُ لِلْآبَاءِ تَرْكَهُ لأَبْنَائِهِمْ. يُبَرِّزُ النَّصُ أَهِمَّيَةَ تَشْجِيعِ الْأَبْنَاءِ وَبِنَاءِ ثِقَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ خَلَالِ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَأَهِمَّيَةَ تَعَلُّمِ الْقِيَمِ الْأُخْلَاقِيَّةِ وَالْأَدَبِ النَّافِعِ لِتَمْكِينِهِمْ مِنْ التَّفَاعُلِ بِلَيَاقَةٍ فِي الْمُجْتَمَعِ. بَالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، يُسَلِّطُ النَّصُ الضَّوْءَ عَلَى أَهِمَّيَةِ بِنَاءِ الْعَلَاقَاتِ الإِيجَابِيَّةِ وَتَعَزِيزِ التَّعَاوُنِ وَالتَّضَامُنِ مِنْ خَلَالِ الإِخْوَانِ الصَّالِحِينَ، مِمَّا يُسَاهِمُ فِي تَعْزِيزِ الْتَّرَابُطِ وَالتَّآزُرِ فِي الْمُجْتَمَعِ. فِي الْخِتَامِ، يُظْهِرُ النَّصُ أَهِمَّيَةَ تَوَرُّثِ الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ وَالتَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ الْآبَاءِ إِلَى الْأَبْنَاءِ كَمُرْتَكَزٍ أَسَاسِيٍّ لِنَمُوِّ الشَّخْصِيَّةِ وَتَطْوِيرِهَا فِي الْمُجْتَمَعِ.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

يَعْكِسُ النَّصُ سِيَاقًا تَرْبَوِيًّا يُحَثُّ عَلَى بِنَاءِ شَخْصِيَّاتٍ صَالِحَةٍ وَمُجْتَمَعَاتٍ مُتَرَابِطَةٍ عَنْ طَرِيقِ تَعْزِيزِ الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ فِي الْأَجْيَالِ الْجَدِيدَةِ. يُوضِحُ النَّصُ أَيْضًا أَنَّ الْقِيَمَ الَّتِي يُتَمُّ تَوْرِيثُهَا مِنَ الْآبَاءِ إِلَى الْأَبْنَاءِ تَشْكُلُ الْأَسَاسَ لِنَمُوِّ الشَّخْصِيَّةِ وَتَطَوُّرِهَا فِي الْمُجْتَمَعِ.

٢. الاستعارة

يتضح في قوله عن المثل: "إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَثَلًا؛ كَانَ ذَلِكَ أَوْضَحَ لِلْمَنْطِقِ، وَأَبْيَنَ فِي الْمَعْنَى، وَآنَقَ لِلسَّمْعِ، وَأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ" ((Ibn al-Muqaffa, 2011)). عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى الإِيجَازِ وَالاِسْتِعَارَةِ فِي هَذَا الْمَثَلِ، نَدْرَكُ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ يُشِيرُ إِلَى فَعَالِيَّةِ اِسْتِخْدَامِ الاِسْتِعَارَاتِ فِي التَّوَاصُلِ وَالْوُضُوحِ فِي الْمَنْطِقِ مِنْ خَلَالِ تَبْسِيطِ الأَفْكَارِ الْمُعَقَّدَةِ. تُعْتَبَرُ الاِسْتِعَارَاتُ أَدَاةً فَعَّالَةً لِتَحْقِيقِ الْوُضُوحِ وَالْفَهْمِ وَالْجَاذِبِيَّةِ فِي الْكَلَامِ، وَتَسَاهُمُ فِي تَجَاوُزِ الْحُوَاجِزِ الثَّقَافِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ، مُمَا يَعْزُزُ فَعَّالِيَّةَ التَّوَاصُلِ بَيْنَ الأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ. وَتَعْكُسُ أَهَمِّيَّةَ الْوُضُوحِ فِي الْمَعْنَى مِنْ خَلَالِ نَقْلِ مَفَاهِيمَ عَمِيقَةٍ وَتَشْجِيعِ التَّفْكِيرِ الْمُعَمَّقِ، مُمَا يَضَفِي عُمْقًا وَجَاذِبِيَّةً إِضَافِيَّةً لِلرِّسَالَةِ. كَمَا تُظْهِرُ الاِسْتِعَارَاتُ أَهَمِّيَّةَ الْجَاذِبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ مِنْ خَلَالِ تَحْسِينِ جَودَةِ الْكَلَامِ وَتَجْذِبِ اِنْتِبَاهَ الْجُمْهُورِ. يَتَضَمَّنُ هَذَا الْمَثَلُ دَعْوَةً لِتَقْدِيمِ الْكَلَامِ بِشَكْلٍ مُوَجَّزٍ كَمَا يُشِيرُ إِلَى أَهَمِيَّةِ الْوَضْوَحِ وَالْبَسَاطَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْأَفْكَارِ وَالْمَفَاهِيمِ. فَعِنْدَمَا يَكُونُ الْكَلَامُ مِثَالًا، يَصْبَحُ أَكْثَرَ وُضُوحًا لِلْمُسْتَمِعِينَ وَالْمُتَلَقِّينَ، وَأَكْثَرَ فَهْمًا لِلْعُقُولِ، وَأَكْثَرَ وُضُوحًا فِي الْمَعَانِي الَّتِي يَحْمِلُهَا، وَأَكْثَرَ امْتِدَادًا وَانْتِشَارًا بَيْنَ النَّاسِ وَالشُّعُوبِ، حَيْثُ يُمْكِنُ لِلْجَمِيعِ الاِسْتِفَادَةُ مِنْهُ وَالتَّوَاصُلُ بِهِ بِشَكْلٍ فَعَّالٍ.

وَيُرى البَاحِثُ أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ يَتَضَمَّنُ سِيَاقًا تَرْبَوِيًّا يُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّوَاصُلِ الْوَاضِحِ وَالْفَعَّالِ فِي الْبِيئَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَيُسْتَعْرَضُ مُجَمَّوَعَةً مِنَ الْقِيَمِ التَّعْلِيمِيَّةِ الْمُهِمَّةِ. يَشِيرُ النَّصُّ إِلَى أَنَّ التَّوَاصُلَ الْوَاضِحَ وَالْمُوَجَّزَ ضَرُورِيٌّ لِتَحْقِيقِ التَّدْرِيسِ وَالتَّعَلُّمِ الْفَعَّالِ، مَمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ اسْتِخْدَامِ لُغَةٍ يَسْهُلُ فَهْمُهَا لِلطُّلَّابِ، وَجَعْلِ الْأَفْكَارِ الْمُعَقَّدَةِ مَفْهُومَةً وَجَاذِبَةً. كَمَا يُبَرِّزُ النَّصُّ أَهَمِّيَّةَ إِشْرَاكِ الطُّلَّابِ وَتَوْفِيرِ الْمُحْتَوَى التَّعْلِيمِيِّ بِطَرِيقَةٍ تَكُونُ مَفْهُومَةً وَجَاذِبَةً لِلْحَوَاسِ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَالِ جَعْلِ الْمُحْتَوَى مُتَاحًا لِجُمْهُورٍ وَاسِعٍ. كَمَا يُعَكِّسُ ذِكْرُ مَدِّ الْكَلَامِ إِلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ اهْتِمَامًا بِفَهْمِ احْتِيَاجَاتِ الْجُمْهُورِ وَسِيَاقِهِ، وَبِالتَّالِي يُشَدِّدُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ تَصْمِيمِ الْمُحْتَوَى التَّعْلِيمِيِّ لِيَلْبِيَ احْتِيَاجَاتِ الطُّلَّابِ وَاهْتِمَامَاتِهِمْ. تُقْتَرَحُ هَذِهِ الْقِيَمُ بِشَكْلٍ جَمَاعِيٍّ اتِّبَاعَ نَهْجٍ شَامِلٍ لِلتَّعْلِيمِ، يُرَكِّزُ عَلَى التَّوَاصُلِ الْفَعَّالِ وَالْمُشَارَكَةِ وَمُرَاعَاةِ احْتِيَاجَاتِ الْجُمْهُورِ، مَمَّا يَتَمَاشَى مَعَ الْفِلْسَفَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي تَسْعَى لِتَنْمِيَةِ الْفَرْدِ بِمُخْتَلَفِ جَوَانِبِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَاطِفِيَّةِ، مِنْ خَلَالِ تَقْدِيمِ مَحْتَوَى تَعْلِيمِيٍّ وَاضِحٍ وَجَذَّابٍ وَمُلَائِمٍ.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

٣. المجاز

ويتضح في قوله:"الْقَسْمُ الَّذِي يُقْسَمُ لِلنَّاسِ وَيُمَتَّعُونَ بِهِ نَحْوَانِ: فَمِنْهُ حَارِسٌ، وَمِنْهُ مَحْرُوسٌ. فَالْحَارِسُ الْعَقْلُ، وَالْمَحْرُوسُ الْمَالُ "((Ibn al-Muqaffa, 2011)). يَتَضَمَّنُ الْمُقْتَطَفُ قِيَمًا تَرْبَوِيَّةً لِلْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُنْقَسِمُونَ إِلَى مُجَمَّوعتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا حَارِسَةٌ وَالْأُخْرَى سَجِينَةٌ. يُمَثِّلُ الْحَارِسُ الْعَقْلَ، بَيْنَمَا يُمَثِّلُ السَّجِينُ الثَّرْوَةَ. وَلِذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ هُوَ حَارِسُ الثَّرْوَةِ. وَيُشِيرُ هَذَا الْمُقْطَعُ الْمَجَازِيُّ مِنَ النَّصِّ إِلَى أَنَّ الْعَقْلَ أَوْ الْفِكْرَ يَلْعَبُ دَورًا وَقَائِيًّا فِي إِدَارَةِ الثَّرْوَةِ وَالْحِفَاظِ عَلَيْهَا. فَالْحَارِسُ، الَّذِي يُرَمِّزُ إِلَى الْعَقْلِ، يَضْمَنُ سَلَامَةَ وَأَمْنَ مَنْ هُمْ تَحْتَ رَعَايَتِهِ -وَفِي هَذَا السِّيَاقِ الثَّرْوَةَ الَّتِي يُمَثِّلُهَا السَّجَنَاءُ. يُسَلِّطُ هَذَا الْقِيَاسُ الضَّوْءَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ اِسْتِخْدَامِ الْحُكْمِ السَّلِيمِ وَالتَّفْكِيرِ الْعَقْلَانِيِّ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ الْأُمُورِ الْمَالِيَّةِ لِمَنْعِ الْخُسَائِرِ الْمُحْتَمَلَةِ أَوْ سُوءِ الْإِدَارَةِ. وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى هَذَا الْمَفْهُومِ نَجِدُ أَنَّ فِكْرَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ كَانَ يُسَبِّقُ زَمَنَهُ بِعَدَّةِ قُرُونٍ. فَهَذَا الْمَفْهُومُ الْمُجَازِيُّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى التَّمْوِيلِ الشَّخْصِيِّ فَحَسْبًا، بَلْ يَمْتَدُّ أَيْضًا إِلَى الْأَنْظِمَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ الْأَكْبَرِ. وَيَلْعَبُ رَأْسُ الْمَالِ الْفِكْرِيُّ، مِثْلَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَهَارَاتِ وَالِابْتِكَارِ، دَوْرًا فَاعِلًا فِي خَلْقِ النُّمُوِّ الِاقْتِصَادِيِّ وَاِسْتِدَامَتِهِ. فِي الشَّرِكَاتِ، يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ اتِّخَاذُ الْقَرَارِ الْفَعَّالِ بِنَاءً عَلَى الْمَنْطِقِ السَّلِيمِ إِلَى زِيَادَةِ الرَّبْحِيَّةِ وَالنَّجَاحِ عَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ.

وَفِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، أَظْهَرَتِ الْعَدِيدُ مِنَ الدِّرَاسَاتِ أَنَّ الْبِلَادَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِأَنْظِمَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ قُوِيَّةٍ وَتُرَكِّزُ عَلَى الْبَحْثِ وَالتَّطَوُّرِ تَمِيلُ إِلَى أَنْ تَكُونَ لَدَيْهَا اقْتِصَادَاتٍ أَكْثَرَ قُوَّةً (Bank., 2019)عَلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، مِنَ الْمُرَجَّحِ أَنْ يَحْصُلَ الْأَفْرَادُ ذُوُو مِسْتَوَيَاتِ التَّعْلِيمِ الْأُعْلَى عَلَى وَظَائِفَ جَيِّدَةِ الْأَجْرِ وَأَنْ يَجْمَعُوا ثَرْوَةً أَكْبَرَ عَلَى مَدَى حَيَاتِهِمْ(OECD), 2020)). وَمِنْ هُنَا؛ يَرَى الْبَاحِثُ أَنَّ مَلَامِحَ الْفِكْرِ التَّرْبَوِيِّ لِلْأَدِيبِ "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ" فِي نُصُوصِ كِتَابِ "الْأَدَبِ الصَّغِيرِ" تَتَمَثَّلُ فِي عَدَّةِ جَوَانِبَ، مِنْهَا: تَرْسِيخُ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْأَدَبِ؛ وَتَعْزِيزُ الْوَعْيِ التَّرْبَوِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ لِلْقَارِئِ مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِ الْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ؛ تَوْجِيهُ الْقَارِئِ نَحْوَ السُّلُوكِيَّاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقِيَمِ النَّبِيلَةِ؛ تَحْفِيزُ الْفِكْرِ النَّقْدِيِّ وَالتَّحْلِيلِيِّ لِلْقَارِئِ مِنْ خِلَالِ الْبَلَاغَةِ وَالْإِيجَازِ وَالْمَجَازِ وَالتَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ وَالْأَسَالِيبِ الْأَدَبِيَّةِ الْمُتْقَنَةِ

وَسَائِطُ التَّرْبِيَةِ فِي نَصَوْصِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ

١. التَّرْبِيَةُ بِالقُدْوَةِ

إِنَّ التَعليمَ بالسُلُوكِ أَكثرَ فَعاليَّةً مِن التَعليمِ بالكَلِماتِ، فَكَمَا أَنَّ الكَلِماتَ الحَكِيمَةَ تُغذِي الآذَانَ، فَإِنَّ الأَفعَالَ الحَكِيمَةَ تُسرُّ العُيُونَ والقُلوبَ. وَمَنْ عَلِمَ نَفسَهُ وَأَدَّبَها، فَهُوَ أَحقُ بالاحتِرَامِ والأَفضَلِيَّةِ مِنَ الذِي عَلَّمَ وَأَدَّبَ غَيرَه. لِلقُدوَةِ دُورٌ هامٌ فِي التَربِيَّةِ، وَلا سِيمَا فِي مُرحَلَةِ الطُّفولَةِ، حَيثُ يَقتَدِي الطِّفلُ بِمَن يَرَاهُم وَيَقلِّدهُم فِي أَعمالِهِم وَسُلوكِهِم. وَلِذَلِك، كَانَت التَّربِيَّةُ الإِسلامِيَّةُ تُولِي اهتِمامًا خاصًّا بالقُدوَةِ الحَسَنَةِ. وَيُشتَرَطُ ابنُ المُقَفَّعِ فِي أَخلاقِيَّاتِ الإِمامِ أَن يَكونَ قُدوَةً فِي سُلوكِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وَأقوَالِهِ؛ وَذَلِكَ لِيَكونَ فِي عُيونِ المُصْطَفَينَ وَرَاءَهُ المُرشِدُ وَالنَّموذَجُ الذِي يَنبَغِي اِتبَاعُهُ لَيسَ فِي الصَّلاةِ فَحسبٍ، بَل فِي الحَيَاةِ أيضًا حَيثُ يَقُولُ: وَمَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فِي الدِّينِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ وَتَقْوِيمِهَا فِي السِّيرَةِ وَالطُّعْمَةِ، وَالرَّأْيِ وَاللَّفْظِ وَالْأَخْدَانِ؛ فَيَكُونَ تَعْلِيمُهُ بِسِيرَتِهِ أَبْلَغَ مِنْ تَعْلِيمِهِ بِلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ كَلاَمَ الْحِكْمَةِ يُونِقُالْأَسْمَاعَ، فَكَذَلِكَ عَمَلُ الْحِكْمَةِ يَرُوقُ الْعُيُونَ وَالْقُلُوبَ. وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلاَلِ وَالتَّفْضِيلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِم"((Ibn al-Muqaffa, 2011)). وَالْمُتَأَمِّلُ فِي هَذَا الْقَوْلِ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ يَجِدُ أَنَّهُ يَحْمِلُ عَدَّةَ مَضَامِينَ وَقِيَمًا تَرْبَوِيَّةً ضَرُورِيَّةً لِتَنْمِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْقِيَادَةِ. يُشِيرُ الْقَوْلُ إِلَى أَهَمِيَّةِ التَّعْلِيمِ الذَّاتِيِّ وَالْقِيَادَةِ بِالْقُدُوَةِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَتَعَلُّمِ الشَّخْصِ لِنَفْسِهِ وَتَنْمِيَةِ سُلُوكِهِ وَأَخْلَاقِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى مَسْؤُولِيَّةَ إِمَامَةِ النَّاسِ فِي الدِّينِ. تَعَلُّمُهُ لِلْآخَرِينَ يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ مِنْ خَلَالِ تَقْدِيمِهِ لِنَمُوْذَجٍ حَيٍّ فِي سِيرَتِهِ وَسُلُوكِهِ، مِمَّا يُظْهِرُ فَعَالِيَّةَ هَذَا الْأُسْلُوبِ فِي نَقْلِ الْقِيَمِ وَالْمَعَارِفِ. إِذْ تُعْتَبَرُ الْأَفْعَالُ الْحَكِيمَةُ أَكْثَرَ تَأْثِيرًا عَلَى الْآخَرِينَ مِنْ الْكَلِمَاتِ. وَبِالتَّالِي، يَحْظَى الشَّخْصُ الَّذِي يَعْلَمُ وَيَهْذِبُ نَفْسَهُ بِالْاِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيْرِ أَكْثَرَ مِنْ الَّذِي يُحَاوِلُ تَعْلِيمَ الْآخَرِينَ دُونَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَفَّى بِتِطْبِيقِ تِلْكَ الْقِيَمِ فِي حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ.

كَما يُبْرِزُ النَّصُ أَهَمِيَّةَ التَّمَيُّزِ السُّلُوكِيِّ وَتَأْثِيرِهِ الإِيجَابِيِّ عَلَى الآخَرِينَ، حَيْثُ يُشِيرُ إِلَى أَهَمِيَّةِ إِتْقَانِ سُلُوكِ الْفَرْدِ وَأَخْلَاقِهِ كَجُزْءٍ أَسَاسِيٍّ مِنَ التَّعْلِيمِ الْفَعَّالِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَهَمِيَّةِ الْاِنْضِبَاطِ الذَّاتِيِّ وَالنَّزَاهَةِ فِي بِنَاءِ الثِّقَةِ وَالْمَصْدَاقِيَّةِ الْقِيَادِيَّةِ. وَفِي النِّهَايَةِ، يَتَضَمَّنُ قِيمَةَ اِحْتِرَامِ الْاِنْضِبَاطِ الذَّاتِيِّ كَفَضِيلَةٍ تَسْتَحِقُ الْاِعْتِرَافَ وَالتَّقْدِيْرَ. يُبْرِزُ السِّيَاقُ التَّرْبَوِيُّ فِي هَذَا النَّصِ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ يُرَكِّزُ عَلَى أَهَمِيَّةِ تَطْوِيرِ الذَّاتِ وَالْعَمَلِ عَلَى بِنَاءِ شَخْصِيَّةٍ قِيَادِيَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى الشَّخْصُ دَوْرَ الْإِرْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ لِلآخَرِينَ، وَهَذَا يَعْكِسُ نَهْجًا تَرْبَوِيًّا يَعْتَمِدُ عَلَى تَعْزِيزِ الْقُدُوَةِ وَالْمِثَالِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ كَوَسِيلَةٍ لِلتَّأْثِيرِ الإِيجَابِيِّ عَلَى الآخَرِينَ فِي الْمُجْتَمَعِ.

٢. الأَدَبُ وَالتَّأْدِيبُ (التَّعْلِيمُ) وَدُورُهُمَا فِي تَنْمِيَةِ العَقْلِ

يَعْتَبِرُ الْأَدَبُ النَّفْسِيُّ مِنْ الْعَوَامِلِ الْمُهِمَّةِ فِي تَطْوِيرِ الْعَقْلِ وَتَحْقِيقِ مُرْتَبَةِ الْوُجُودِ الْمَرْغُوبَةِ، حَيْثُ يُعَزِّزُ الْأَدَبُ النَّفْسِيُّ الْقُدْرَاتِ الْعَقْلِيَّةَ وَيُنَمِّي الطَّاقَةَ الْكَامِنَةَ لِلْعَقْلِ، مُمَّا يُمْكِنُهُ مِنْ التَّفْكِيْرِ النَّقْدِيِّ وَالْمَنْطِقِ الصَّحِيْحِ. يُقَوِّمُ الْأَدَبُ بِتَنْشِيطِ الْعَقْلِ وَتَوْفِيرِ الْعَوَامِلِ الْمُلْهِمَةِ وَالْمُغْذِيَةِ الَّتِي تَسَاهُمُ فِي نَمُوِّهِ وَتَطْوِيرِهِ. وَعَنْ ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: "فَكَمَا أَنَّ الْحَبَّةَ الْمَدْفُونَةَ فِي الْأَرْضِ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَخْلَعَ يَبَسَهَا وَتُظْهِرَ قُوَّتَهَا وَتَطْلُعَ فَوْقَ الْأَرْضِ بِزَهْرَتِهَا وَرَيْعِهَا وَنَضْرَتِهَا وَنَمَائِهَا إِلاَّ بِمَعُونَةِ الْمَاءِ الَّذِي يَغُورُ إِلَيْهَا فِي مُسْتَوْدَعِهَا فَيُذْهِبَ عَنْهَا أَذَى الْيَبَسِ وَالْمَوْتِ، وَيُحْدِثَ لَهَا بِإِذْنِ اللهِ الْقُوَّةَ وَالْحَيَاةَ = فَكَذَلِكَ سَلِيقَةُ الْعَقْلِ مَكْنُونَةٌ فِي مَغْرِزِهَا مِنَ الْقَلْبِ، لاَ قُوَّةَ لَهَا وَلاَ حَيَاةَ بِهَا وَلاَ مَنْفَعَةَ عِنْدَهَا حَتَّى يَعْتَمِلَهَا الْأَدَبُ الَّذِي هُوَ ثِمَارُهَا وَحَيَاتُهَا وَلِقَاحُهَا" ((Ibn al-Muqaffa, 2011)).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وَهُنَّا يُسْتَخْدَمُ ابن المَقْفَع الاِسْتِعَارَة لِنَقْلِ القِيَمِ الْتَرْبَوِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَة بِتَنْمِيَةِ الْعَقْلِ وَالشَّخْصِيَّة. يُقَارِنُ الاِسْتِعَارَة نَمُوَّ وَازدِهَار البَذْرَة الْمَدْفُونَة فِي الأَرْض بِتَغْذِيَةِ الفِكْر دَاخِل الإِنْسَان. تُشِيرُ هَذِهِ الْتَشْبِيهَاتُ إِلَى الْقُوَّةِ الْتَحْوِيلِيَّةِ لِلتَّعْلِيم فِي تَغْذِيَةِ الفِكْر وَتَنْمِيَةِ الشَّخْصِيَّة. "فَاِسْتِعَارَة الْحَبَّة الْمَدْفُونَة" فِي وَصْفِهِ كَيْفَ أَن البَذْرَة الْمَدْفُونَة فِي الأَرْض لَا يُمْكِنُ أَن تَظْهَرَ قُوَّتَهَا وَجَمَالَهَا وَحَيَوِيَّتَهَا حَتَّى تَتَلَقَّى الْمَاء الَّذِي يَتَسَرَّبُ إِلَى مَخْزُنِهَا. وَهَذَا الْمَاء يُزِيلُ الْجُفَاف وَالْمَوْت عَن الْبَذْرَة، مُمَا يَفْتَحُ لَهَا أَزْهَارَهَا وَنَضَارَتَهَا وَخُضْرَتَهَا. وَبِالْمِثْل، يُشَبِّهُ الْعَقْل الْمُخْتَبَئ فِي قَلْب الإِنْسَان هَذِهِ الْبَذْرَة الْمَدْفُونَة. "وَرِعَايَة الْعَقْل" وَفْقًا لِمَضْمُون النَّص، كَمَا أَن الْمَاء ضَرُوري وفِي لِنَمُوّ الْبَذْرَة، فَإِن التَّعْلِيم وَالتَّهْذِيب ضَرُورِيَّانِ لِرِعَايَةِ الْعَقْل وَتَطْوِيرِهِ، حَيْثُ أَن الْعَقْل يَمْتَلِكُ طَاقَةً كَامِنَةً مَلِيئَةً بِالاِسْتِعِدَادَات الْقَادِرَة عَلَى الْمَنْطَق الصَّالِح إِذَا أَحْيَاهَا الْأَدَب، وَأَمَّهَا بِأَسْبَاب النَّمَاء وَالْعَطَاء. وَيُؤْكِدُ أَنَّهُ بِدُون الزَّرَاعَة السَّلِيمَة مِنْ خِلَالِ التَّعْلِيم (الْمُمَثَّل بِالْمِيَاه)، يَظَلّ الْعَقْل خَامِلًا بِلَا حَيَاةٍ، خَالِيًا مِنْ أَيّ فَائِدَةٍ. فَقَطْ عِنْدَمَا يَتَحَلَّى الْمَرْء بِالْآدَاب، الَّتِي تُشَبِّه ثَمَرَة الْعَقْل وَحَيَاتَهُ وَجَوْهَرَهُ، يُمْكِن لِلْمَرْء أَن يَدْرِكَ إِمْكَانَاتِهِ الْفِكْرِيَّة.

وَمِنْ هَذَا الْقَوْلِ لابْنِ الْمُقَفَّعِ يُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُ عَدَّةِ قِيَمٍ تَرْبَوِيَّةٍ، تَتَمَثَّلُ فِي "ضَرُورَةِ التَّأْدِيبِ (التَّعْلِيمِ)"، حِيثُ تُؤَكِّدُ الاِسْتِعَارَةُ عَلَى أَهْمِيَّةِ التَّعْلِيمِ (التَّأْدِيبِ) فِي إِطْلَاقِ الْعُنُوَانِ لإِمْكَانَاتِ الْفَرْدِ الْفِكْرِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ شَخْصِيَّتِهِ. كَذَلِكَ "الرَّعَايَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ"، مِثْلَمَا يَحْتَاجُ النَّبَاتُ إِلَى رَعَايَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ لِيَزْهَرَ، يَحْتَاجُ عَقْلُ الإِنْسَانِ إِلَى التَّعَلُّمِ وَالصَّقْلِ الْمُسْتَمِرّ. عَلَاوَةً عَلَى "التَّحَوُّلِ مِنْ خَلَالِ التَّعَلُّمِ"، حِيثُ أَنَّ التَّعَلُّمَ لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ عَلَى تَحْوِيلِ الْفَرْدِ مِنْ حَالَةِ سُبَاتٍ إِلَى حَالَةٍ مَلِيئَةٍ بِالْحَيَوِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَائِدَةِ. وَفِي مَوْضِعٍ آخَرٍ، يُرَكِّزُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ عَلَى قِيَمَةِ الْأَدَبِ فِي سُلُوكِ الْفَرْدِ وَمُعَامَلَاتِهِ. يَشْمَلُ الْأَدَبُ الْأَخْلَاقَ وَالِاحْتِرَامَ وَالسُّلُوكَ السَّلِيمَ تَجَاهَ الْآخَرِينَ، وَتَنْمِيَةَ الْفَضَائِلِ مِثْلَ التَّوَاضُعِ وَاللُّطْفِ وَالْمُجَامَلَةِ لَدَى الْأَفْرَادِ. يُؤَكِّدُ أَيْضًا عَلَى أَهَمِيَّةِ الْآدَابِ وَالْمَنْطِقِ وَالتَّعَلُّمِ كَعُنْصُرَ مُتَرَابِطَةٍ تَسَاهُمُ فِي النَّمُوّ الْفِكْرِيّ وَالْفَهْمِ. يُبَرِّزُ النَّصُ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ الْعَلَاقَةَ الْجَوْهَرِيَّةَ بَيْنَ الْأَدَبِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالتَّعَلُّمِ كَمُكَوِّنَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ تَسَاهُمُ فِي التَّنْمِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالْإِثْرَاءِ الْفِكْرِيّ، وَالسُّلُوكِ الْأَخْلَاقِيّ، حَيْثُ يَقُولُ: "وَجُلُّ الْأَدَبِ بِالْمَنْطِقِ، وَجُلُّ الْمَنْطِقِ بِالتَّعَلُّمِ، لَيْسَ مِنْهُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ مُعْجَمِهِ، وَلاَ اسْمٌ مِنْ أَنْوَاعِ أَسْمَائِهِ إِلاَّ وَهُوَ مَرْوِيٌّ مُتَعَلَّمٌ مَأْخُوذٌ عَنْ إِمَامٍ سَابِقٍ مِنْ كَلاَمٍ أَوْ كِتَابٍ؛ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا أُصُولَهَا، وَلَمْ يَأْتِهِمْ عِلْمُهَا إِلاَّ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ"((Ibn al-Muqaffa, 2011)).

وَفِي السِّيَاقِ الْتَّرْبَوِيّ لَهَذَا النَّصِ نَجِدُ أَنَّ الْمَنْطَقَ لَدَى ابْنِ الْمُقَفّعِ يُؤَثِّرُ فِي تَشْكِيلِ عَمَلِيَّاتِ التَّفَكُّرِ وَالْقُدْرَاتِ الْمَنْطِقِيَّةِ. فَمِنْ خَلَالِ إِعْطَاءِ الْأُولُوِيَّةِ لِلْعَقْلِ، يُمْكِنُ لِلْأَفْرَادِ تَطْوِيرَ مِهَارَاتِ التَّفَكُّرِ النَّقْدِيّ، وَتَحْلِيلِ الْمَعْلُومَاتِ بِشَكْلٍ فَعَّالٍ، وَإِصْدَارِ أَحْكَامٍ سَلِيمَةٍ. الْمَنْطِقُ عِنْدَ ابْنِ الْمُقَفّعِ بِمَثَابَةِ الْأَسَاسِ لِلنَّمُوّ الْفِكْرِيّ وَالْخُطَابِ الْعَقْلَانِيّ. كَذَلِكَ نَلَاحَظُ تَرَكُّزَهُ عَلَى التَّعَلُّمِ وَالطَّبِيعَةِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلتَّعَلُّمِ الْمُسْتَمِرِ وَاكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ. فَمِنْ خَلَالِ التَّعَلُّمِ، يَنْخَرِطُ الْأَفْرَادُ فِي عَمَلِيَّةِ التَّعَلُّمِ وَتَحْسِينِ الذَّاتِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

مَدَى الْحَيَاةِ وَلِأَنَّ التَّعَلُّمَ مِنَ الْمَصَادِرِ ذَاتِ السَّمَعَةِ الطَّيِّبَةِ، سَوَاءً مِنْ خَلَالِ التَّقَالِيدِ الشَّفَهِيَّةِ أَوِ النُّصُوصِ الْمَكْتُوبَةِ، يُمْكِنُ الْأَفْرَادَ مِنْ تَوْسِيعِ فَهْمِهِمْ وَحِكْمَتِهِمْ. هُنَاكَ إِشَارَةٌ أَيْضًا إِلَى أَهَمِيَّةِ التَّوَاضُعِ وَالرِّقِّيِّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْآخَرِينَ، حَيْثُ يُظْهِرُ أَنَّ وَجْهَ الشَّخْصِ الَّذِي يُنَقِّلُ الْمَعْرِفَةَ وَالْأَدَبَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا وَمُتَفَتِّحًا، إِضَافَةً إِلَى قِيمَةِ التَّعَاطُفِ وَالتَّفَاعُلِ الإِيجَابِيِّ، حَيْثُ يَشِيرُ إِلَى أَهَمِيَّةِ أَنْ يَتَوَافَقَ الْوَجْهُ وَالسُّلُوكُ مَعَ الطَّاعَةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ فِي التَّعَلُّمِ. كَذَلِكَ نَجِدُ مَدْلُولًا لِلِاحْتِرَامِ وَالثِّقَةِ وَأَهَمِيَّةِ اكْتِسَابِ الِاحْتِرَامِ وَالثِّقَةِ مِنَ الْآخَرِينَ، حَيْثُ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَتَحَلَّى بِالْعِلْمِ وَالأَدَبِ سَيَحْظَى بِمَحْمَلِ وَقَبُولٍ مِنَ الآخَرِينَ. عُلاوَةً عَلَى ذَلِكَ نَلاحَظُ إِشَارَةً إِلَى الصِّدَقِ وَالشَّفَافِيَّةِ فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّعَامُلِ، حَيْثُ يَشِيرُ إِلَى أَهَمِيَّةِ أَنْ يَتَمَاشَى السُّلُوكُ وَالْوَجْهُ مَعَ مُتَطَلَّبَاتِ الطَّاعَةِ وَالْقَبُولِ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ وَصَادِقٍ(Al-Dhahabi, 2004).

وَفِي سِيَاقِ الْأَدَبِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّنْمِيَةِ الْفِكْرِيَّةِ يَقُولُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: "مِنْ أَبْوَابِ التَّرَفُّقِ وَالتَّوْفِيقِ فِي التَّعْلِيمِ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فِيمَا يُوَافِقُ طَاعَةً، وَيَكُونَ لَهُ عِنْدَهُ مَحْمَلٌ وَقَبُولٌ". يُعَكِّسُ هَذَا القَوْلُ أَهَمِيَّةَ اللِّيَاقَةِ وَالتَّوَاضُعِ فِي التَّعْلِيمِ. يُشِيرُ النَّصُ إِلَى أَنَّ وَجْهَ الشَّخْصِ الَّذِي يَتَعَامَلُ مَعَ الْآخَرِينَ فِي سِيَاقِ التَّعْلِيمِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُتَحَلِّيًا بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، مَعَ الِالْتِزَامِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوَاضُعِ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ قَبُولٌ وَاحْتِرَامٌ مِنْ قَبَلِ الْآخَرِينَ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى تَحْمِلِ الْمَسْؤُولِيَّةِ وَنَقْلِ الْمَعْرِفَةِ بِطَرِيقَةٍ تَتَسَمُ بِالِاحْتِرَامِ. وَهُنَا تَتَقَاطَعُ أَدْوَارُ الْمَعْرِفَةِ وَالْجَمَالِيَّاتِ عِنْدَ عَتَبَةِ التَّدْرِيسِ. فَالرَّجُلُ الَّذِي يُوَجِّهُ جُهُودَهُ نَحْوَ الْمَعْرِفَةِ وَالْجَمَالِيَّاتِ بِشَكْلٍ مُتَنَاغِمٍ، وَيَحَافِظُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْقَبُولِ، يُوصَفُ فِي الْأَدَبِيَّاتِ التَّرْبَوِيَّةِ بِأَنَّهُ صَاحِبُ شَخْصِيَّةٍ مُتَوَازِنَةٍ. يُمْكِنُ إِرْجَاعُ هَذَا الْمَفْهُومِ إِلَى النَّظَرِيَّاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، حَيْثُ كَانَ التَّوَازُنُ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ (الْفِكْرِ) وَالْجَمَالِيَّاتِ (الْحِسِّيَّةِ) يُعْتَبَرُ ضَرُورِيًّا لِلتَّعْلِيمِ الشَّامِلِ. عَلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَبْحَاثَ التَّرْبَوِيَّةَ الْحَدِيثَةَ تَدْعَمُ هَذَا الْفِكْرَةَ. عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، تَفْتَرِضُ نَظَرِيَّةُ الذَّكَاءَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ "لِهُوَارْدُ جَارْدِنَر" أَنَّ الْأَفْرَادَ يَمْتَلِكُونَ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الذَّكَاءِ، بِمَا فِي ذَلِكَ الذَّكَاءَ اللُّغَوِيَّ، وَالذَّكَاءَ الْمَنْطِقِيَّ الرِّيَاضِيَّ، وَالْمَكَانِيَّ، وَالْجَسَدِيَّ الْحَرَكِيَّ، وَالذَّكَاءَ الْمُوسِيقِيَّ، وَالذَّكَاءَ الشَّخْصِيَّ، وَالذَّكَاءَ الشَّخْصِيَّ، وَالذَّكَاءَ الطَّبِيعِيَّ. يُتَمَّ تَضْمِينُ الذَّكَاءِ الجَمَالِيِّ فِي هَذِهِ الْقَائِمَةِ بِاعْتِبَارِهِ الْقِدْرَةَ عَلَى إِدْرَاكِ الْجَمَالِ وَتَقْدِيرِهِ بِأَشْكَالِهِ الْمُخْتَلِفَة((Gardner, 1993)).

عَلاوةً عَلى ذٰلِكَ، أَظْهَرَتْ دِرَاسَاتُ عِلْمِ الأَعْصَابِ أَنَّ الانْخِرَاطَ فِي الأَنْشِطَةِ الَّتِي تُحَفِّزُ الذَّكَاءَ وَالجَمَالِيَّاتِ يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى تَعْزِيزِ القُدْرَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ. عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، لَا يَتَطَلَّبُ الْعَزْفُ عَلَى آلَةِ مُوسِيقَى حِفْظًا وَفَهْمَ الْمَفَاهِيمِ الْمُوسِيقِيَّةِ فَحْسَبَ، بَلْ يَتَطَلَّبُ أَيْضًا مَهَارَاتٍ حَرَكِيَّةً دَقِيقَةً وَحُسَّاسِيَّةً لِلإِيقَاعِ وَاللَّحْنِ. وَقَدْ تَمَّ رَبْطُ هَذَا النَّهْجِ الشَّامِلِ لِلتَّعَلُّمِ بِتَحْسِينِ وَظِيفَةِ الذَّاكِرَةِ، وَزِيَادَةِ الإِبْدَاعِ، وَحَتَّى الأَدَاءِ الأَكَادِيمِيِّ الأَفْضَلِ. وَمِنَ الْمُهِمِّ أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ تَكَامُلَ الْمَعْرِفَةِ وَالجَمَالِيَّاتِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْبِيئَاتِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

التَّعْلِيمِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ. كَمَا يُمْكِنُ لِلتَّعَلُّمِ مُدَى الْحَيَاةِ مِنْ خَلَالِ الْهِوَايَاتِ أَوْ الِاهْتِمَامَاتِ الشَّخْصِيَّةِ أَنْ يُسَاهِمَ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي النَّمْوِ الفِكْرِيّ مِنْ خَلَالِ تَعْزِيزِ الفُضُولِ وَمَهَارَاتِ التَّفْكِيرِ النَّقْدِيّ وَالتَّقْدِيْرِ لِمُخْتَلَفِ جَوَانِبِ الثَّقَافَةِ.

٣. ضرورَةُ الأدَبِ في تَنْمِيَةِ الْمُجْتَمَعِ.

يَقْدُمُ بِنُ الْمُقَفّعِ نَظْرَةً ثَاقِبَةً لِلْمَعَايِيْرِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ فِي العُصُورِ الوُسْطَى التِي تُؤَكِّدُ عَلَى أَهِمِيَّةِ الأَدَبِ، وَالَّذِي يُمْكِنُ تَرْجُمَتُهُ عَلَى أَنَّهُ مُقَابِلٌ لِمَفْهُومِ "الأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ" أَوْ "الأَخْلَاقِ" أَوْ "اللِّيَاقَةِ". كَانَ ابْنُ الْمُقَفّعِ يُؤَكِّدُ عَلَى الدَّورِ الْمُهِمّ لِلأَدَبِ وَالتَّعْلِيمِ يَلْعَبَانِ فِي تَحْسِينِ الْمُجْتَمَعِ وَتَحْقِيقِ التَّطَوُّرِ الاجْتِمَاعِيّ مِنْ خِلَالِ تَنْمِيَةِ العُقُولِ وَتَحْسِينِ السُّلُوكِ. وَفِي هَذَا السِّيَاقِ يَقُولُ ابْنُ الْمُقَفّعِ:ة "وَلِلْعُقُولِ سَجِيَّاتٌ وَغَرَائِزُ بِهَا تَقْبَلُ الْأَدَبَ، وَبِالْأَدَبِ تَنْمَى الْعُقُولُ وَتَزْكُو"((Ibn al-Muqaffa, 2011)) يُظَهِّرُ هذا القَوْلُ أَهَمِّيَّةَ الاحْتِرَامِ وَالتَّعَاوُنِ، إِضَافَةً إِلَى أَهَمِّيَّةِ العَمَلِ عَلَى تَنْمِيَةِ الذَّاتِ وَالمُجْتَمَعِ مِنْ خَلَالِ التَّعْلِيمِ وَالأَدَبِ. "تَرْبِيَةُ الأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ" حَيْثُ يُؤْكِدُ عَلَى أَنَّ الأَخْلَاقَ الحَمِيدَةَ ضَرُورِيَّةٌ لِلتَّفَاعُلِ الاجْتِمَاعِيّ. وَمَدْلُولُ الكَلَامِ «فَإِنَّ الأُذُنَيْنِ عَضْوَتَانِ مَسْمُوعَتَانِ، وَفِيهِمَا أَوَعِيَةٌ تَقْبَلُ تَسْمِيَةُ «سَجِيَّة» وَ«غُرَيْزَة». وَهَذِهِ الأَوَعِيَّةُ تَقْبَلُ الأَدَبَ، وَبِالأَدَبِ تَنْمُو الأُذُنَانِ». يُشِيرُ هَذَا النَّصُّ إِلَى أَهَمِّيَّةِ حُسْنِ الخُلُقِ فِي تَسْهِيلِ التَّوَاصُلِ الفَعَّالِ وَبِنَاءِ العَلاقَاتِ القَوِيَّةِ. كَذَلِكَ يُؤْكِدُ النَّصُّ عَلَى دَوْرِ الأَدَبِ فِي تَنْمِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ الأَخْلَاقِيَّةِ. وَمَدْلُولُ النَّصِّ «وَفِي الأَدَبِ نَمُوٌ لِلنَّفْسِ، وَتَزْكِيَةٌ لَهَا». أَنَّ الالْتِزَامَ بِالأَعْرَافِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَإِظْهَارَ الأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَسَاعِدَ الأَفْرَادَ عَلَى تَطْوِيرِ شَخْصِيَّةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ قَوِيَّةٍ. كَذَلِكَ إِظْهَارُ الاحْتِرَامِ لِلآخَرِينَ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ وَضْعِهِمُ الاجْتِمَاعِيّ أَوْ وَضْعِهِمْ.

يَعْكِسُ هَذَا القَوْلُ أيضا قِيمَةَ التَعَاوُنِ وَالتَّفَاعُلِ الإِيجَابِيّ حَيْثُ يَشِيرُ إِلَى أَهْمِيَةِ التَّفَاعُلِ بَيْنَ العُقُولِ وَالأَدَبِ، مُمَا يُبْرِزُ أَهْمِيَةَ التَّعَاوُنِ وَتَبَادُلِ الأَفْكَارِ وَالمَعْرِفَةِ فِي بَنَاءِ الْمُجْتَمَعِ. كَمَا يَعْكِسُ قِيمَةَ الاحْتِرَامِ، وَضُرُورَةَ التَّعَاطُفِ مَعَهَا بِأَسْلُوبٍ مُحْتَرِمٍ وَمُهَذَّبٍ. وَيُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُ أَنَّ الأَدَبَ وَالتَّعْلِيمَ يُسَاهِمَانِ فِي نَمْوِ وَتَطْوُرِ العُقُولِ، مُمَا يُبْرِزُ أَهْمِيَةَ الاِسْتِثْمَارِ فِي التَّعْلِيمِ وَتَنْمِيَةِ القُدْرَاتِ الْفَرْدِيَّةِ. يُمْكِنُ أَيْضًا اسْتِنْبَاطُ قِيمَةِ القِيَادَةِ الحَكِيمَةِ كَدَعْوَةٍ لِلْقِيَادَةِ بِحِكْمَةٍ وَمُرُونَةٍ، مَعَ النَّظَرِ إِلَى احْتِيَاجَاتِ العُقُولِ وَالْغَرَائِزِ، وَتَوْجِيهُهَا نَحْوَ الأَفْضَلِ. وفي سِيَاقٍ تربوي آخَرَ نَجِدُ ابنَ المَقْفَعِ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَنْمَاطِ السُّلُوكِ المُخْتَلِفَةِ وَكَيْفِيَّةِ تَعَامُلِ الْمُجْتَمَعِ مَعَهَا، فَيَقُولُ: "أَمَّا الصَّالِحُ فَمَدْعُوٌ، وَأَمَّا الطَّالِحُ فَمُقْتَحِمٌ، وَأَمَّا ذُو الْأَدَبِ فَطَالِبٌ، وَأَمَّا مَنْ لاَ أَدَبَ لَهُ فَمُحْتَبَسٌ"((Ibn al-Muqaffa, 2011)).

وَبِنَظْرَةٍ مُتَأَمِّلَةٍ نَجِدُ أَنْ هَذَا النَّصُّ يَتَضَمَّنُ تَبْوِيبًا لِأَنْمَاطِ السُّلُوكِ الْمُخْتَلِفَةِ وَكَيْفِيَّةِ اِسْتِجَابَةِ الْمُجْتَمَعِ لَهَا. فِي هَذَا السِّيَاقِ، يُتَأَكَّدُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ الْحَسَنِ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ وَتَحْقِيقِ التَّوَازُنِ الاِجْتِمَاعِيّ. فَالْأَفْرَادُ الصَّالِحُونَ، الَّذِينَ يَلْتَزِمُونَ بِالْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ، يَحْظُونَ بِالاِحْتِرَامِ وَالدَّعْوَةِ لِلْمُشَارَكَةِ الفَعَّالَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ. بَيْنَمَا يُوصَفُ الأَفْرَادُ الطَّالِحُونَ، الَّذِينَ يَمِيلُونَ إِلَى السُّلُوكِ غَيْرِ الْمُقَبَّلِ،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

بِأَنَّهُمْ يَقْتَحِمُونَ الْحَيَاةَ بِشَكْلٍ سَلْبِيٍّ، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ اِسْتِجَابَةً سَلْبِيَّةً مِنَ الْمُجْتَمَعِ. وَيُؤَكِّدُ النَّصُّ أَيْضًا عَلَى أَهَمِّيَّةِ الأَدَبِ وَالسُّلُوكِ الْحَسَنِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الآخَرِينَ، حَيْثُ يُعَامَلُ الشَّخْصُ ذُو الأَدَبِ بِالِاحْتِرَامِ وَالِاحْتِرَافِيَّةِ، بَيْنَمَا يُوَاجِهُ الشَّخْصُ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَى الأَدَبِ وَالسُّلُوكِ الْحَسَنِ اِسْتِجَابَةً سَلْبِيَّةً مِنَ الْمُجْتَمَعِ. تَظْهَرُ الْقِيَمُ التَّرْبَوِيَّةُ فِي النَّصِّ مِنْ خَلَالِ تَصْوِيرِ الأَفْرَادِ الصَّالِحِينَ كَمَطْلُوبِينَ وَمُرَحَّبًا بِهِمْ فِي الْمُجْتَمَعِ، مَمَّا يُبْرِزُ أَهَمِّيَّةَ الْبِرِّ وَالأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ فِي بِنَاءِ الوِئَامِ الاِجْتِمَاعِيِّ وَتَعْزِيزِ التَّوَازُنِ الاِجْتِمَاعِيِّ، بَيْنَمَا يُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى الطَّبِيعَةِ التَّخْرِيبِيَّةِ لِلْفَسَادِ وَعَوَاقِبِهِ السَّلْبِيَّةِ عَلَى الوِئَامِ الاِجْتِمَاعِيِّ، وَيُعَكِّسُ وَصْفَ الأَفْرَادِ الَّذِينَ يَفْتَقِرُونَ إِلَى الأَخْلاقِ بِأَنَّهُمْ مُحْصَرُونَ أَوْ مُقَيَّدُونَ، الكَيْفِيَّةَ الَّتِي يُعَوِّقُ بِهَا السُّلُوكُ السَّيِّءُ نَمْوَ الأَفْرَادِ الشَّخْصِيِّ وَعَلاقَاتِهِمْ. وَلِلأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَمَكَارِمِ الْآدَابِ أَهَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ لَدَى ابْنِ الْمُقَفَّعِ يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي فِكْرِهِ وَأُسْلُوبِهِ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: "وَلَسْنَا إِلَى مَا يُمْسِكُ بِأَرْمَاقِنَا مِنْ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ بِأَحْوَجَ مِنَّا إِلَى مَا يُثْبِتُ عُقُولَنَا مِنَ الْأَدَبِ الَّذِي بِهِ تَفَاوُتُ الْعُقُولِ" ((Ibn al-Muqaffa, 2011))

٤.العقل والحكمة والإرادة

كَانَ ابْنُ الْمُقَفَّع هُنَا حَرِيصًا عَلَى تَوْضِيحِ أَنَّ مَا سَوْفَ يُرَدُّهُ مِنْ آدَابٍ وَأَخْلَاقِيَّاتٍ؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ أَخْلَاقِ الْأُمَّةِ وَعَوَائِدِهَا وَأَعْمَالِهَا، وَبُلُوغِ الْغَايَاتِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تَحْقِقُ الِاتِّزَانَ النَّفْسِيِّ لِلْفَرْدِ وَالتَّصَالُحِ تَجَاهَ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ مَعًا، كَمَا أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَهِمِّيَّةِ مَقَاصِدِ الْأَفْعَالِ عَلَى أَنَّهَا تَحْتَاجُ لِتَدْبِيرِ مَا فَعَلَهُ الْخَالِقُ تَجَاهَ مَخْلُوقَاتِهِ. وَتَتَضَحُ مَعَالِمُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِلْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمِثَالِيَّةِ وَالْإِيمَانِ فِي إِطَارِ رُوحٍ عِلْمِيَّةٍ تَرْبِطُ الْحَقَائِقَ بِرَبَاطِ الْأَسْبَابِ، فَلَا طَفْرَةَ فِي الْوُجُودِ فِي نَظَرِهِ، مَا دَامَ السَّبِيلُ إِلَى الْغَايَاتِ بِصَحَّةِ الْعَقْلِ، وَمَا دَامَتْ صَحَّةُ الْعَقْلِ حَسْنَ الِاخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ الْعَامِلَةِ! وَيَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ فِي خُطْبَةِ كِتَابِهِ "الْأَدَب الصَّغِير": وَهِيَ مِنْ عُيُونِ الْحِكَمِ عِنْدِي: "أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ حَاجَةً، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غَايَةً، وَلِكُلِّ غَايَةٍ سَبِيلًا.وَاللهُ وَقَّتَ لِلْأُمُورِ أَقْدَارَهَا، وَهَيَّأَ إِلَى الْغَايَاتِ سُبُلَهَا، وَسَبَّبَ الْحَاجَاتِ بِبَلَاغِهَا. فَغَايَةُ النَّاسِ وَحَاجَاتُهُمْ صَلَاحُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالسَّبِيلُ إِلَى دَرَكِهَا الْعَقْلُ الصَّحِيحُ. وَأَمَارَةُ صِحَّةِ الْعَقْلِ: اخْتِيَارُ الْأُمُورِ بِالْبَصَرِ، وَتَنْفِيذُ الْبَصَرِ بِالْعَزْمِ". وَمِنْ خَلَالِ قِرَاءَةٍ وَتَحْلِيلٍ وَاطِّلَاعٍ عَلَى كُلِّمَاتِ هَذَا النَّصِّ، نَجِدُ أَنَّهُ يُؤَكِّدُ عَلَى التَّرَابُطِ بَيْنَ الاحْتِيَاجَاتِ وَالأَهْدَافِ وَالوُسَائِلِ فِي سِيَاقِ حَيَاةِ الإِنْسَانِ. وَنَجِدُ أَيْضًا عَدَدًا مِنْ القِيَمِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي: "الاِعْتِرَافُ بِاحْتِيَاجَاتِ الإِنْسَانِ"، حَيْثُ يُظْهِرُ أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ لَدَيْهِ احْتِيَاجَاتٌ. يَعْتَبِرُ هَذَا الاِعْتِرَافُ أَمْرًا بَالِغَ الأَهْمِيَّةِ فِي مُجَالِ التَّعْلِيمِ؛ لِمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي تَعَلُّمِ التَّعَاطُفِ وَالتَّفَاهُمِ، وَأَهْمِيَّةِ تَلْبِيَةِ الاحْتِيَاجَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ لِلأَفْرَادِ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعِ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، يُؤَكِّدُ "تَحْدِيدُ الْهَدَفِ وَالْغَرَضِ" عَلَى أَنَّ كُلَّ حَاجَةٍ لَهَا هَدَفٌ أَوْ غَرَضٌ مُرْتَبِطٌ بِهَا، وَيَعْتَبِرُ هَذَا الْمَفْهُومَ أَسَاسِيًّا فِي مُسْتَوَى التَّعْلِيمِ؛ حِيثُ يُشَجِّعُ الطُّلَّابَ عَلَى وَضْعِ أَهْدَافٍ وَاضِحَةٍ وَالْعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِهَا، وَفِهْمِ أَهْمِيَّةِ جُهُودِهِمْ فِي الْوُصُولِ إِلَى النَّتَائِجِ الْمَرْجُوَّةِ. وَيُظْهِرُ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

"أَهْمِيَّةُ التَّخْطِيطِ وَالاِسْتِرَاتِيجِيَّةِ" أَنَّ هُنَاكَ طُرُقًا وَوُسَائِلَ لِتَحْقِيقِ الأَهْدَافِ، مِنْ خِلَالِ فَهْمِ الْمُحَدِّدَاتِ وَتَحْلِيلِ الطُّرُقِ وَتَطْوِيرِ الْمُخَطَطَاتِ؛ مِمَّا يُعْزِزُ التَّفَكُّرَ النَّقْدِيَّ وَالتَّفَكُّرَ الْمَنْطِقِيَّ، وَيُعَزِّزُ التَّنْمِيَةَ الْفِكْرِيَّةَ كَأَدَوَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ لِلنَّمُوِّ الشَّخْصِيِّ، وَحَلِّ الْمُشْكِلَاتِ، وَاتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ. وَأَخِيرًا، "دَوْرُ الرُّؤْيَةِ وَالْعَزِيمَةِ" يُؤَكِّدُ عَلَى أَهْمِيَّةِ اخْتِيَارِ الأُمُورِ بِالْبَصِيرَةِ وَتَنْفِيذِهَا بِالْعَزِيمَةِ، مِنْ خِلَالِ تَحَدُّدِ الأَهْدَافِ وَالْمُثَابَرَةِ وَالاِلْتِزَامِ فِي تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ التَّعْلِيمِيَّةِ.

وَفِي سِيَاقِ تَعْلِيمِيٍّ، يُؤَكِّدُ هَذَا عَلَى أَهْمِيَّةِ التَّخْطِيطِ وَوَضْعِ الاِسْتِرَاتِيجِيَّاتِ وَمَهَارَاتِ حَلِّ الْمَشْكِلَاتِ لِلتَّغَلُّبِ عَلَى الْعُقُبَاتِ وَالْوُصُولِ إِلَى النَّتَائِجِ الْمَرْجُوَّةِ بِفَعَالِيَّةٍ: "القَضَاءُ وَالأَمْرُ الإِلَهِيُّ" مِنْ خَلَالِ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ الأُمُورَ كُلَّهَا، وَوَفَّرَ الوُسُومَ لِتَحْقِيقِ الأَهْدَافِ، يُسَلِّطُ ابْنُ المَقَفَّعِ الضَّوْءَ عَلَى مَفْهُومِ الأَمْرِ الإِلَهِيِّ وَالْهُدَايَةِ. وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يُغْرِسَ الشُّعُورَ بِالإِيمَانِ وَالهَدَفِ وَالثِّقَةِ فِي أَذْهَانِ الطُّلَّابِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرَحِلَتِهِمْ نَحْوَ تَحْقِيقِ تَطَلُّعَاتِهِمْ. "التَّرْكِيزُ عَلَى الْمَسَاعِي الفِكْرِيَّةِ" يَشِيرُ الاِقْتِبَاسُ إِلَى أَنَّ التَّفْكِيرَ السَّلِيمَ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ. وَفِي التَّعْلِيمِ، يُؤَكِّدُ هَذَا عَلَى قِيمَةِ التَّفْكِيرِ النَّقْدِيِّ، وَالتَّفْكِيرِ الْمَنْطِقِيِّ، وَالتَّنْمِيَةِ الفِكْرِيَّةِ كَأَدَوَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ لِلنَّمْوِ الشَّخْصِيِّ، وَحَلِّ الْمَشَاكِلِ، وَاتِّخَاذِ الْقَرَارِ. "دَوْرُ الرُّؤْيَةِ وَالعَزِيمَةِ" ذَكَرَ ابْنُ المَقَفَّعِ اخْتِيَارَ الأُمُورِ بِالْبَصِيرَةِ (الرُّؤْيَةِ) وَتَنْفِيذَهَا بِالعَزِيمَةِ. وَهَذَا يُؤَكِّدُ أَهْمِيَّةَ الاِسْتِبْصَارِ وَوُضُوحِ الهَدَفِ وَالْمُثَابَرَةِ وَالاِلْتِزَامِ فِي تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ التَّعْلِيمِيَّةِ (Knowles, M. S., Holton III, E. F., & Swanson, 2015; (OECD), 2020; Smith, 2019). وَيَحْمِلُ هَذَا النَّصُّ إِشَارَةً إِلَى تَرْبِيَةِ الْفَرْدِ وَتَطَوُّرِهِ، حِيثُ يَتَجَاوَزُ دَوْرُ التَّهْذِيبِ الْخُلُقِيِّ لِيَتَعَدَّاهُ إِلَى مَفْهُومٍ أَوْسَعَ "لِلتَّرْبِيَةِ" كَمَعْنًى شَامِلٍ لِإِعْدَادِ الْفَرْدِ لِلْحَيَاةِ. يُظْهِرُ النَّصُّ أَيْضًا سَمَةً مِنْ سِمَاتِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ الْمُثَالِيَّةِ، وَهِيَ عَدَمُ تَنْكِرِهِ لِلْقِيَمِيَّةِ الْأَدَبِيَّةِ الْمُهَذَّبَةِ لِلنَّفْسِ بِنَاءً عَلَى مَصَادِرِهَا. تَتَجَلَّى إِنْسَانِيَّتُهُ السَّمْحَةُ فِي تَجَاوُزِهِ لِحُوَاجِزِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، مُمَا يُمَكِّنُ الْفَرْدَ مِنْ الِاسْتِفَادَةِ مِنْ حُكْمِ السَّابِقِينَ وَتَجَارِبِهِمْ، لِأَنَّ الْجَوْهَرَ الإِنْسَانِيَّ وَاحِدٌ. يُبَرِّزُ النَّصُّ أَهَمِيَّةَ الْعِلْمِ السَّلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ الصَّحِيحِ، وَيُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الأَدَبَ هُوَ السَّبِيلُ لِتَطْوِيرِ النُّفُوسِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَنَّ أَسَاسَ الْمَنْطِقِ هُوَ التَّعَلُّمُ الْقَوِيمُ وَاكْتِسَابُ الْمَعْرِفَةِ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الأَدَبِ مُتَعَلَّمٌ مِنْ مَصَادِرِهِ السَّابِقَةِ، سَوَاءً مِنْ خَلَالِ الْكَلَامِ الْمَنْقُولِ أَوِ الْكُتُبِ الْمَنْقُولَةِ.

وَيَشِيرُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ مَتْنِ كِتَابِهِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" إِلَى أَهَمِيَّةِ الإِدْرَاكِ وَالْعَقْلِ وَقُوَّةِ التَّذَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالاعْتِبَارِ، وَأَنَّ الْعَاقِلَ هُوَ الَّذِي يَدْرَكُ أَنَّ لِكُلِّ فِعْلٍ مُرَدَّهُ، وَانْعِكَاسَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فَإِذَا مَاتَ، نَجَحَ الْفَرْدُ فِي الاِنْفِلَاتِ مِنْ الْعُقُوبَةِ فِي دُنْيَاهُ، وَلَكِنْ لَنْ يَسْتَطِيعَ التَّبَرُّؤَ مِنْ أَفْعَالِهِ الْمُشِينَةِ وَشُرُورِهِ الْمَرْذُولَةِ فِي الآخِرَةِ؛ حَيْثُ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ. الْمَوْتُ هُوَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي لَا يَمْكُنُ لِلْمَرْءِ الْهَرَبَ مِنْهَا، لِذَا يَقُولُ:"وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِرَارًا، ذِكْرًا يُبَاشِرُ بِهِ الْقُلُوبَ وَيَقْذَعُ الطِّمَاحَ؛ فَإِنَّ فِي كَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ عِصْمَةً مِنَ الْأَشَرِ، وَأَمَانًا بِإِذْنِ اللهِ مِنَ الْهَلَعِ"((Ibn al-

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Muqaffa, 2011)).يُوضِحُ هُنَا ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنَّ الْعَاقِلَ هُوَ الَّذِي يَدْرَكُ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ يَحْمِلُ مَعَهُ نَتَائِجَهُ، سَوَاءٌ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْوَاقِعِيَّةُ الَّتِي لَا مَفْرَ مِنْهَا. لِذَا يُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ تَذْكِيرِ الْفَرْدِ بِالْمَوْتِ بِانْتِظَامٍ، حَيْثُ يَعْتَبِرُ ذَلِكَ وَسِيلَةً لِتَحْقِيقِ الْعَزْمِ وَالْيَقَظَةِ، وَالَّتِي قَدْ تُؤَدِّي إِلَى تَجْنِبِ الشُّرُورِ وَالْمَعَاصِي، وَتَحْقِيقِ السَّلَامِ الدَّاخِلِيِّ وَالْأَمَانِ.

الْخَاتِمَة

بِنَاءً عَلَى الْبَحْثِ، يَتَضَحَّ أَنَّ الْفَلَسَفَةَ الْتَّرْبَوِيَّةَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ فِي كِتَابِ "الْأَدَبِ الصَّغِيرِ" تَبْرُزُ بُوَضْوَحٍ فِي مَظَاهِرَ مُتَعَدِّدَةٍ. فَقَدْ رَكَّزَ الْكَاتِبُ عَلَى السُّلُوكِ الاجْتِمَاعِيِّ وَتَضَمَّنَ مَوَاضِيعَ مُتَنَوِّعَةً تَشْمَلُ أَهَمِّيَّةَ الْانْضِبَاطِ الذَّاتِيِّ وَضَبْطَ النَّفْسِ، وَأَهَمِّيَّةَ الصَّدَاقَةِ وَالْعَلَاقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الإِيجَابِيَّةِ، مُؤَكِّدًا عَلَى السُّلُوكِ الْأَخْلَاقِيِّ وَأَهَمِّيَّةَ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْعَلَاقَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْمَسْؤُولِيَّاتِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ.وَتَنَاوَلَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ الْقَضَايَا الْتَّرْبُوِيَّةَ بِالْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ، وَفِي مَجَالِ الْبَحْثِ فِي السُّلُوكِ الاجْتِمَاعِيِّ يَسَاعُدُ عَلَى تَرْكِيزِ جُهُودِهِ وَتَحْقِيقِ نَتَائِجَ مَلْمُوسَةٍ. وَيَظْهَرُ تَوَاضُعُهُ فِي تَحْدِيدِ الْهَدَفِ مِنْ كِتَابَتِهِ وَفِي تَقْدِيمِ أَفْكَارِهِ بِطَرِيقَةٍ هَادِئَةٍ وَمُتَوَاضِعَةٍ، مَمَّا يَعْكِسُ بِدَايَاتٍ جَيِّدَةً لِحَرَكَةِ التَّأْلِيفِ فِي الإِسْلَامِ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِأَبْرَزِ الْأَشْكَالِ وَالْمَضَامِينِ الْتَّرْبُوِيَّةِ مِنْ قِيَمٍ وَمَعَانٍ وَأَفْكَارٍ، فَقَدْ أَظْهَرَتْ النَّتَائِجُ مَا يَلِي:

تَمْثُلُ أَبْرَزَ الْقِيَمِ الْتَّرْبُوِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ فِي نَصُوصِ كِتَابِ "الأَدَبِ الصَّغِيرِ" فِي مَحَبَّةِ الْعِلْمِ وَتَأْثِيرِهَا فِي تَحْقِيقِ الفَضِيلَةِ وَالتَّمَيُّزِ؛ حَسَنِ اخْتِيَارِ الرُّفَقَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ الصَّالِحِينَ؛ الصِّدْقِ وَالنُّزَاهَةِ وَدُوَرُهُمَا فِي تَعْزِيزِ النَّمْوِ الشَّخْصِيِّ وَالْمُجْتَمَعِيِّ؛ الْوَعْيِ الذَّاتِيِّ وَضَبْطِ النَّفْسِ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَسَالِيبِ الْبَلَاغِيَّةِ وَمَدْلُولَاتِهَا الْتَّرْبُوِيَّةِ فِي نَصُوصِ كِتَابِ "الْأَدَبِ الصَّغِيرِ"، فَقَدْ أَظْهَرَتْ النَّتَائِجُ اسْتِخْدَامَ الْإِيجَازِ وَالْمَجَازِ وَالاِسْتِعَارَةِ كَوَسَائِلِ لِلتَّوَاصُلِ وَالتَّوْضِيحِ فِي السُّلُوكِ وَالْمَنْطِقِ وَتَبْسِيطِ الأَفْكَارِ الْمُعَقَّدَةِ لِلتَّوَاصُلِ بَيْنَ الأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ. وَكَانَتْ مِنْ بَيْنِ وَسَائِطِ الْتَّرْبِيَةِ الْأُخْرَى فِي نَصُوصِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ: الْتَّرْبِيَةُ بِالْقُدْوَةِ، وَضُرُورَةُ الأَدَبِ وَالتَّأْدِيبِ (التَّعْلِيمِ) وَدُوَرُهُمَا فِي تَنْمِيَةِ الْعَقْلِ وَتَطْوِيرِ الشَّخْصِيَّةِ، وَضُرُورَةُ الأَدَبِ فِي تَنْمِيَةِ الْمُجْتَمَعِ، وَتَعْزِيزِ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالإِرَادَةِ. بِالتَّالِي، يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ كِتَابَ "الْأَدَبِ الصَّغِيرِ" يَحْمِلُ مَعَانٍ تَرْبُوِيَّةً عَمِيقَةً تَسَاهُمُ فِي تَشْكِيلِ الشَّخْصِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ الْمَهَارَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ لِلأَفْرَادِ فِي الْمُجْتَمَعِ.

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِوَالْمَرَاجِعِ

Abbas, Saham Salamah, wa-al-Hajari, Samiya Musfir Salih. (2017). Al-qim al-khuluqiyyah fi rasa’il Ibn al-Muqaffa al-adabiyyah. Hawliyat Kulliyat al-dirāsāt al-Islamiyyah wa-al-‘arabiyyah li-al-banat bi-al-Iskandariyyah, 33(1), 727-774.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Al-Alwi, al-sharif al-murtada Ali. (355 – 436 H): Amali al-murtada (Ghurar al-fawa'id wa-durar al-qala'id) (ed. Muhammad Abu al-fadl Ibrāhīm). Dar Ihya' al-kutub al-arabiyyah.

Al-Bustani, Butrus. (1979). Adaba' al-arab fi al-'usur al-'abbasiyyah. Dar Marun Abbud.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdallah. (2004). Sir a'lam al-nubala': 209/6, Amir al-bayan: 106 -108, 112. Dar al-fikr.

Al-Fakhuri, Hanna. (1957). Ibn al-Muqaffa. Silsilah.

Al-Ghamidi, Ahmad Said. (1981). Al-'alaqat al-insaniyyah fi al-fikr al-idrari al-Islami madaminuha wa-tatbiqatuha al-tarbawiyyah [Unpublished master's thesis]. Umm al-Qura University.

Al-Harbi, Ali Sa'd. (2010). Ahmiyyat dur mu'allimi al-'ulum al-tabi'iyyah fi tanmiyat al-qim al-'ilmiyyah 'inda tullab al-saff al-thalith al-thanawi al-tabi'i bi-al-marhalah al-thanawiyyah bi-al-Mamlakah al-Arabiyyah al-Sa'udiyyah [Unpublished doctoral dissertation]. Umm al-Qura University.

Al-Hasanawi, Amir Salal Rahi. (2015). Shi'r Abd Allah ibn al-Muqaffa (153 H 155 H): jam' wa-tahqiq. Majallat Jil al-dirasat al-adabiyyah wa-al-fikriyyah, 2(14), 9-14.

Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr. (1995). Mukhtar al-sihah. Maktabat Lubnan.

Al-Salmi, Ahlam. (2011). Mafhum al-qim wa-ahmiyyatihā fi al-'amaliyyah al-tarbawiyyah wa-tatbiqatihā al-sulukiyyah min manzur Islami. Majallat al-'ulūm al-tarbawiyyah wa-al-nafsiyyah, 9(2), 79-94.

Amin, Ahmad. (1997). Duha al-Islam (vol. 1). Al-hay'ah al-misriyyah al-'ammah li-al-kitab.

Dar Sader. al-Ashqar, Ayman Mahmud. (2017, January 9-10). Al-qim al-tarbawiyyah al-mudhamminah fi kutub al-riyadiyyat al-filastiniyyah lis-sufuf min 1-4, the first conference of the College of Education entitled "Values in Palestinian Society: Reality and Challenges", Palestine University in Gaza.

Gamage, K.A.A., Dehideniya, D.M., & Ekanayake, S.Y. (2021). The role of personal values in learning approaches and student achievements. Behavioral Sciences, 11(7), 2-23.

Gardner, H. (1993). *Frames of mind: The theory of multiple intelligences*. Basic Books.

Hasan, Layla. (1997). Kalila wa-Dimnah fi al-adab al-muqāran: dirasah muqaranah. Maktabat al-Risalah.

Husayn, Taha. (1953). Min hadith al-shi'r wa-al-nathr. Dar al-Ma'arif.

Ibn al-Muqaffa, Abd Allah. (1908). Al-adab al-saghir. Majallat al-Muqtabas.

Ibn al-Muqaffa, Abd Allah. (1997). Al-athar al-kamilah li-Abd Allah ibn al-Muqaffa (ed. Umar al-Tabba). Shirkah Dar al-Arqam ibn Abi al-Arqam li-taba'ah wa-al-nashr wa-al-tawzi.

Ibn al-Muqaffa, Abd Allah. (2011). Al-adab al-saghir (ed., read., and comm. Wail Hafiz Khalaf). Dar Ibn al-Qayyim.

Ibn Manzur, Muhammad. (1997). Lisan al-Arab. Fasl al-dad al-mujama (258/13) (3rd ed.).

Ibrahim, Abd al-Alim. (1970). Al-mujih al-funni al-madrasi al-lughah al-arabiyyah (5th ed.). Dar al-Ma'arif.

Ighbariyyah, Rida Ahmad. (2006). Al-akhlaq 'inda Ibn al-Muqaffa. Akadimiyat al-Qasimi Markaz al-abhath al-tarbawiyyah wa-al-ijtima'iyyah, 10, 163-188.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Jaluli, Mukhtar. (2022). Istimalat manhaj tahleel al-madhmun fi buhuth al-i'lam wa-al-ittisal bayna al-tahlil al-kammi wa-al-kaifi. Majallat al-dirasat wa-al-buhuth al-ijtima'iyyah, 10(1), 30-41.

Jum'ah, Husayn Ali. (2016). Ibn al-Muqaffa bayna hadaratayn: qira'ah fikriyyah naqdiyyah wa-adabiyyah. Dar Ruslan li-taba'ah wa-al-nashr wa-al-tawzi.

Khalil, Ahmad. (2021). Al-qim al-falsafiyyah fi al-adab al-saghir wa-al-kabir li-Ibn al-Muqaffa wa-istifadatiha li-ta'lim al-naqd al-adabi fi Jami'at Mulana Malik Ibrahim al-Islamiyyah al-hukummiyyah Malang [Unpublished doctoral dissertation]. Jami'at al-Islam Nigri Mulana Malik Ibrahim.

Knowles, M. S., Holton III, E. F., & Swanson, R. A. (2015). The adult learner: The definitive classic in adult education and human resource development (7thed.). John Wiley & Sons.

Organisation for Economic Cooperation and Development (OECD). (2020). Ed*ucation at a glance 2020: OECD indicators*. https://stats.oecd.org/Index.aspx?DataSetCode=EDU_GLANCE.

Rahibani, Majidah. (2014). Abd Allah ibn al-Muqaffa wa-al-adab al-saghir. Majallat al-ma'rifah, 53(613), 46-55.

Smith, J. (2019). Understanding the educational context. *Educational Psychology Review, 31*(2), 245-261. doi:10.1007/s10648-018-9444-x.

Stan, R. V. (2014, November 7-9). *The importance of literature in primary school pupils' development and personal growth* [Paper presentation]. The 6th International Conference Edu World 2014 "Education Facing Contemporary World Issues". ScienceDirect. doi: 10.1016/j.sbspro.2015.02.144.

World Bank. (2019). *Human capital: A key driver of economic growth*. https://www.worldbank.org/en/topic/education/brief/human-capital-a-key-driver-of-economic-growth.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)